

RAMZI

AL-ISTI'MAR AL-FARANSI

Pontefract University Library



32101 074496066



لجنة البعث العربي

الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا

تأليف

أحمد رمزي

التصل العام تم مثل مصر العباسي
سوريا ولبنان من ١٩٣٩ - ١٩٤٤

حقوق الطبع للدولف

الطبعة والنموذجية
١٩٤٤ م في بيروت



Remzi, Ahmad

أحمد رمزي
178. Abuashady

لجنة البعث العربي

at Istiṣḥār

الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا

تأليف

أحمد رمزي

القنصل العام ثم ممثل مصر السياسي
بسوريا ولبنان من ١٩٣٩ — ١٩٤٤

حقوق الطبع للمؤلف

الطبعة الأولى
بيروت، دار الفكر، ١٩٤٤

مقدمة الكتاب

للمستاذ محمد نوح عبد السامح

أقترح المؤلف الفاضل المعروف بثقافته السامية ، وأدبه البليغ
وآثاره القلبية النفيسة ، أن تكتب هذه الكلمة . وإنه لي شرفها أن
يضعها بجانب مقدمته تكريماً للصدقة .

أما الكتاب فهدية إلى من شاء أن يعمل في سبيل بلاده الشرقية
وإرادة وبصيرة وعلم وحزم . وهو من وحي الحوادث التي
توالت على الدنيا ووحى الاطلاع على المصادر التاريخية
والسياسية والديبلوماسية التي عزيل الأوهام وتصحيح الأفهام .
لم يوضع على برنامج أعد له بدءاً ، بل جمع أبحاثاً سبق نشرها أو
نشر بعضها . ولكن وحي الحوادث والاطلاع لم يمنع أن يجيء
فحوى الكتاب وروحه ، والآراء الذاتية الجديدة الواردة فيه ،
ثمرة يانعة من شعور المؤلف وقرينته مهداة إلى القلوب والعقول ؛
ولم يمنع أن تكون هذه الآراء سديدة — وإن اعتذر صاحبها من

أى خطأ محتمل بأنه إنسان يخطئ ويصيب متواضعاً باعتذاره
تواضع الخبير المستنير، ولا أن يدل سياق فصول الكتاب وأقسامه
على أن الذى رتبته عقل منظّم عرف فن التأليف . وهو صديع
جدى يذفع به من حمته الضمير على توخى المعرفة من كثرة المشتغلين
فى شرقنا بالسياسة والدبلوماسية ، الرسميين وغير الرسميين .

والحق أننا ، نحن معاشر أهل الشرق الأدنى ، على ضلال سادرين
فى السعى لمطامعنا الذاتية ، وفى غرورنا وأوهامنا السياسية ،
وأساليب عيشتنا ومانسميه كفاحنا ؛ وصاحبنا على حق حيث يقول :
« ستفرض على شعوب الأرض أنواع جديدة من الحياة وضروبها
وسيلفن الزعماء والقادة أشياء يتفوهون بها فيقولون أنها من عند
أنفسهم » ؛ وعلى حق أيضاً إن هر قصد إراحة ضميره بنشر أبحاث
لعلها تساعد فى إيقاظنا وهدينا الصراط المستقيم .

فإن كثيراً من حوادث بلادنا وأحوالها ، قديماً وحديثاً ،
لانتبئين حقائقه كلها إلا على ضوء كاف من واقع المناقشات
الاستعمارية وتدخل بعض الدول الكبيرة فى شؤوننا ، وتنفل
النفوذ الأجنبي فى مصالحنا ؛ ونحن لاتمكن من خدمتها بحكمة وليس
يتاح لنا الدفاع عنها ، فى حدود المستطاع ، إلا بقدر ما نعرف من

مصالح تلك الدول الحيوية وغير الحيوية ومن مصالح جيراننا ، وبخاصة في زماننا هذا الذي أصبح فيه استقلال كل دولة صغيرة أو كبيرة شئاً نسبياً ، وتصرفها في سياساتها متأثراً من تصرف غيرها في سياساته .

وتلك حقائق لا تؤخذ من الكتب المدرسية والجامعية ، ولا من الصحف والبرقيات ولدينايات — وإن جاء في أقوالها أحياناً ما يبيح يدرك معراه من يستطيع فهم الكلام على خلاف مقتضى انطباعه منه ، بل هي حقائق إنما مضاهيها مثل هذا الكتاب انصافاً عن تلك اشغافه النظرية العملية ، العديدة الألوان ، الواقية ، التي تهوى الشعور ويعتدل بها حكم العمل لروح أصولها السببية في النوعي الماطر فلا يعتز صاحبها بالطواهر . وإلا فإن البصيرة يكثر أن يعتريها ، أمام ماطر التاريخ أو الأحداث السياسية ، ما يشبه أوهام البصر فتقدر أن الجوهرى في هذه المناظر أو الأحداث هو أمر ما يفتك لطر منها ، ولا تدرك أن الخطورة إنما هي الأمور اقلية لظهور ، لمسة سيرها ، الدائمة العامة .

فمن لا يتسنع في التاريخ ، مثلاً ، سوى أعمال كبار مثليه يرى فيه ماطر روائية حميلة لها وقع في رائقه ، فإن هو أدرك أن الأمور

ينصهر بعضها ببعض ويرتبط بدا له عندئذ أن حلف المطاهر الطحية
الرواثة أمورا هي أقل حركة وليعا شأننا للاطر العادى السادح ،
ولسكها أحدر بلفظ نظر المستطلع الذى يتوخى أن يعرف سر
الاشياء ومصائر الامور .

ومش هذا المستطلع الصير يتصح له أن أقوى الأفراد من
الشر حققوا لأنفسهم بالتسلط على الأصممين ما لم يكن لدوائهم
عنه عناء من أحوال العيشة الراسبة : وبفسر له أن طفيلية الأعرة
هى امرص انطاهر أو الخفى ، الماشر أو غير الماشر ، من أكثر
النظم التى تشكلت على نوالى القروب وكتوت إصار المدية ، حتى
عض ما يتصمّر كتوته ، ويسير أن الكفاح لايهطع : كفاح
أفراد فى سبيل اسلطة العليا ، وكفاح طبقات لسيادة فى شعب ،
وكفاح شعوب لجباره الأرض وحاصلاتها ، من جهة ، ويجد الحروب
ولمعاهدات الدولية ، والثورات والمفومات ، والاحتلافات الحربية
والأرمدات ، والتراسى ، وكل أولئك أمور تدل على جهد الانامية
الظفيفية فى أفراد وجماعات مرصهم استلال يسير أكثر ما يمكن
من المصافع ، ويجد من الجهة الأخرى مصدره الدرائس التى تدافع
عن نفسها وما فتئت تعبر وجه الانسانية ، وليس بد للصعيف من

المصانة تحقيقاً لأغراضه ، في حدود المستطاع ، على التدرج حتى لا تقعده اقوى المختلفة التي لا قبل له بها عن هذه الاعراض ، ولا وسيلة أمامه للتفادي من بعض الأضرار بعير حكمة ومصانة ليست تحول دون التقدم بتؤدة نحو مثله الأعلى .

من أجل كل ما تقدم بيانه كان من أصول التأليف المعيد في الاستعمار العرسى في شمال افريقية ، أن يبدأ المؤلف بإيقاف كل قارىء على أصل الاستعمار الحديث واطواره ، وتوسعه الجارف ومشاكله وأثر هذا التوسع . وأن يفهم العامة من المتعلمين ، والسكثرة من حاصتهم معهم ، أن كل دراسة لشؤون العالم يقصد الكفاح في سبيل تحرير الشعوب ، يجب أن يسبقها تعرف هذا التوسع وأثره ، وأهميته ومداه ، لكي نستخلص القواعد الأولية التي نعرفنا العلاقة بين الشعوب المحكومة والدول الحاكمة ، وهي التي تثير بصير بنا وتحدد مركزنا إزاء أوربة لكي يركز على أساس منطقي معقول موقف الأجيال القادمة من هذه السيطرة وعلاقتها بما يحيش همدور الشعوب من آمال ، وما ترجو الوصول إليه من أهداف حتى تحرر هاتياً . فإذا هم وقفوا على تلك الأمور كان من أنصح ما يتضح لهم أن السيطرة الأوروبية جاءت بنتيجتين ، إحداهما

(ح)

إيجابية والأخرى سلبية ، وهـ أن الأثر السلبي كان مظهره صياغ استقلال الشعوب الآسيوية والأفريقية ، وفقدن حريتها وتصفية الطبقات الحاكمة فيها ؛ فلم يعد فيها رجال من الصنف الأول ، وهذا النوع من القادة هم عدة الشعوب ودرعها ، فلا بد لها من العمل على إيجاد أمثالهم .

وليس شك في أن هذا التمهيد يسهل للقارئ تفهم أقسام الكتاب العظيم على صغر حجمه وما احتوت من حقائق تاريخية ، شبه فلسفية ، في فرنسا ومستعمراتها وفي أثر المنافسة وانعوامل الدولية في استعمارها ؛ وحقائق في الاتحاد السوفيتي والاتحاد الفرنسي والاتحاد الهندوكي ، وهذه ثلاث هيئات اتحادية يواجهها العالم الإسلامي في يقظته وكفاحه ضد الاستعمار الانجوسكسوني والأوروبي والصهيوني ، ولو شاء المؤاف أن يعيصر في بيان تلك الحقائق لاستطاع شرحها في مجلد صحم ، وليته يشاء .

وقد أتاححت نظرتة العامة الثاقبة في هذا الموضوع العديد الجواب العويصر أن تتجهله آراءداتيه جديدة . حيث أبان المتناقضت في أنظمة الاتحادات السوفيتي والفرنسي والهندوكي . مع اظهار الساجية التعسفية في كل منها ؛ وحيث قارن بين أساليب السوفيت

الاستعمارية وما تنوى فرنسا إنشائه من اتحاد بين مستعمراتها ؛
وحيث شرح السياسة الدبلوماسية التي تجريها الدولة الفرنسية اللادبلوماسية في
الأقطار الإسلامية الواقعة تحت حكمها .

الخلاصة أن هذا المجموع من الأبحاث كتاب جيد ، يُعتمد
عليه في فهم موضوع الاستعمار وسياساته الدولية ؛ ويحمل بحسب
الاطلاع والاستشارة أن يثق به ، ويقرأه هاية وتفكر وإيمان ،
ليهم ما في سطوره وما بين السطور ، أي يدرك ما لم يقل مؤلفه
مما قال صراحه وتلميحاً ، وعرضاً موجزاً للحقائق الواقعة في الشعوب
والدور والسياسات والمسافات الاستعمارية ، تلك الحقائق التي
يجب الاهتداء بمنطقها . فهو كتاب ينفع رعاياه واستنائه ، أحلصوا
أو لم يحلصوا ، وينفع كل قارئ من الشرق العربي يريد ألا تصلته
إبرقيات واسفطاط سياسية والدعائيات .

محمد فؤاد

القاهرة في ٢٠ من أكتوبر ١٩٤٨

الأهداء

إلى ذلك الرعيل من الرجال الذين قاتلتهم فأوحت إلى
أعمالهم وطرانهم وأقوالهم :
بالإيمان واشبات والتضحية .

إلى الطليعة الأولى من شباب الأمم المطلوبة التي بدأت
تعمل بارادة وبصيرة وعلم وحرم والتي عرست في نفسها
رعة التعلم على المضاعب وحريرة مواجهة الأخطار .

إلى الذين يؤمنون بحق شعوب المطلوبة في الحياة ،
من أبناء الشرق والعرب ومن أبناء فرنسا نفسها .
أقدم هذا الكتاب ؟

المؤلف

مقدمة المؤلف

الى الفارسى والكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - الحمد لله والصلاة والسلام على محمد المبعوث لهداية العالم الذى جاء بكلمة الحق وقصص الخطاب فجهر بالقول ثم قرن القول بالعمل حين قاد السكتات وبأمر الصان وقام بالثورة انكبرى يومئذ حقت كلمة الله . وتحررت ارادة الانسان وتخطعت لاصمام الرائفة بعد عشرة قرون من الطغيان والجحوت على الشرق واهله

٢ - وبعد هذا كتاب ليس لي الفصل في إحراجه اذ جاء كله من وحى الحوادث التى تواتت على الدنيا فهو مجموعة ابحاث وراى سبق لي بشرها او بشر بعضها فى محنة الرسالة العراء . ولذلك لم اصنع له برنامجا او حطة مطبقة ترمى الى هدف معين

٣ - ولا يظن الفارسى انى استجمعت كل المراجع التى وردت فى نهاية الكتاب وتصفحتها عند كتابته وانما هى مجموعة من السكتات التى قرأتها منذ سنوات فأثرب فى نظرى بعض الاشياء لهذا فان

مدير لها ولا اذكرها على سبيل التعاخر وانما على سبيل ارجاع الحق لاربابه .

٤ - ولقد تبدو بعض الاراء جديدة أو شخصية فهذه جاءت نتيجة دراسة بدأت منذ سنوات وبعد تفكير طويل لازمني مدة من الزمن ولقد أراى مسئولا امام القارىء عن هذه الناحية واقول انى فكرت كإنسان بان حائى التوفيق واحطأت فليس ذلك الا لاي انسان ومن طبعه البشر أن يوفقوا أحياء وان يحطوا أحياءاً
٥ - تسير الأمور بخطوات سرعه على غير ما بهى

بعد كثرة هذا الكلام كأنواحه القوى المتجمعة لرفع اوطاسنا من ايدينا .

اما اليوم فإبانا نواجه القوى الخائفة التى نحاول ان نفرص العناء والابادة علينا

فهل تعبرت اساليت ؟

وهل استيقظ السائم ؟

وماذا سيأتى به الغد ؟

هذه امثلة يحجب عنها المستقل

٦ - ستعير الدنيا بعد عشر سنوات وسفرض على شعوب الارض أنواع جديدة من الحياة وصروها وسيلقى الرعماء والقادة

أشياء يتعوهون بها فيقولون انها من عدد أنفسهم ولكنى مطمئن الى حقيقة ثابتة : هي

سيرى قارىء هذه الانحاث انى لم احاول تصلة تعبير الحقائق او التحدى على الحق وقد يأتى ناقد فيقول انى كنت ملصا مع نفسى اولا ثم مع القارىء فهددته كلمة حق اريد بها الدفاع عن حق .

والصلاة عليكم ورحمة الله وبركاته

جيرة القسطنطين في شارع الاهرام ٤٠

١٢ شوال سنة ١٣٦١

١٧ اغسطس ١٩٤٨

المحمد محمد

مراقب

مصلحة الشريعة التجارية والمالية الصناعية

وزارة التجارة والصناعة

بحث في الاستثمار الاوروبي وسيطرته على العالم

٦ -- مشاكل العالم الجديد

حيثما ندرس حالة العالم بعد الحرب الأخيرة يتبين لنا بوضوح أن تاريخ الإنسانية لم يعرف عهداً ملوئاً بالمشاكل والمتناقضات ولا انقلابات المتابعة والتغيرات السريعة التي تنعقد بمحورها عن كل قاعدة ومخالفتها للألوف والمعروف مثل الذي نراه أمام أعيننا اليوم.

٢ -- صعوبة الدرس

هل يوسعا أن يستخلص بعض القواعد العامة أو الاتجاهات أو يصبط شيئاً من العلاقات التي تربط بين الأسباب بعضها مع بعض أو بين الأسباب وانطواهر ، أو يستبق الحوادث فتكشف عن نتائجها ، أو نتناً بما قد تأتي به الأيام المقبلة .

٣ -- أثر القرن الماضي :

يصعب استخلاص شيء من ذلك الآن نظراً لتتابع الحوادث ،

وتطورها السريع إلا إذا حرصنا على بحث الظروف التي مرت
 بالعالم بين حريين . وكشفنا عن الدروس التي ألغناها علينا تاريخ
 القرن الماضي بأكمله ، فقد تساعدنا على إلقاء نظرة تمهد لنا الطرق
 وتسهل السبل لتكوين فكرة تقرب من الصواب ، تهدينا إلى تحديد
 بعض النتائج التي حصلت عليها الإنسانية بعد حروبها من حريين عالميتين
 نقرر ذلك لأن الفترة التي تقع بين ١٨١٥ - ١٩١٤ ، أي بين
 مؤتمر فينا ، وإعلان الحرب العظمى الأولى ، كانت مملوءة بالحوادث
 الكبرى فهي قد بدأت تأكيد مبدأ القوميات والمداواة تحرير
 الشعوب واستقلالها في أوروبا ، ثم حصصت لفكرة حفظ التوازن
 بين الدول الأوروبية الكبرى ثم كانت فترة الثورة التي نقلت أوروبا
 من عهد الاقطاع وبقايا القرون الوسطى إلى عهد الصناعة الآلية
 وما يلازمها من تمارع الطبقات ونصحم المدن الكبرى وموالرأسمالية
 وبرورها كعامل أساسي انشائي في حياة الشعوب الأوروبية .
 ٤- التوسع الاستعماري الجارف :

وكانت هذه الفترة كل هذا ولكن أكبر مظاهرها هو أنها كانت
 عصر التوسع الاستعماري الجارف فامعنى هذا ؟
 أن الذي يبدو لنا في عام ١٩١٤ ، وظاهر أم لم نسا هو أن الدول التي
 توسعت في أملاكها وازدادت علاقاتها بالأمم والمعلوبة والمحكومة
 على أمرها ، قد أخذت تتحول من دول أوروبية إلى دول ذات صبغة عالمية

وبما أن يعرف كيف تم هذا التحول، وكيف دخلت الدول الكبرى ميدان الاستعمار فأصبحت غير قادرة على التراجع من ساحته ، والانكماش على نفسها بعد أن ذوقت طعم حلاوته .

كل هذا يمكن تحديده ودرسه : إذا عرفنا شيئاً عن اتجاهات هذا القرن الماضي والتطورات التي تمت في أثنائه .

٥ — الاستثمار قديم في مساوانه :

فمن المسلم به أن بعض الدول كانت تملك المستعمرات : وكانت تعرف طريقة استغلال الأراضي والشعوب — قبل العهد الذي أمرنا التكلم عنه — ولكن نشاطها كان محدوداً وفي دائرة ضيقة ولم يكن اتصال هذه الدول بمستعمراتها أو اعتمادها عليها بالقدر الذي وصلت إليه في الفترة الأخيرة بل كان الاستثمار يختار أدوار المحاولات البدائية ، ويتعثر في نجاحه التهديدية التي تحمل روح المعامرة الأولى .

٦ — عصر السيطرة :

أما في الفترة التي أشرنا إليها فقد وصل الاستثمار إلى أوجه الأكر حتى أن البشرية لم تعرف في كل أدوار تطورها وكفاحها وفي كل عصورها السالفة بغير استثناء ربما خضعت فيه شعوب الأرض المحلفة بمدبائتها وتقاليدها بل من نواحي إنتاجها الحكم بعده

أوروبا مثل العهد الذي جاء بين ١٨١٥ - ١٩١٤

٧ - تسابق وتنافس وتراحم :

في هذه الفترة من الزمن اشتد التنافس والتسابق والتراحم بين دول أوروبا الكبيرة والصغيرة القديمة منها والناشئة على احتلال الأراضي وتقسيم القارات لدرجة أن وصل إلى المناطق المتجمدة والصحارى القاحلة فأصبح الحديد والصحراء والرمال وجزائر البحار ميدانا لكل هذا ومحلا للزراع والاطماع ورفع الاعلام وتقسيم مناطق النفوذ بالمعاهدات والاتفاقات .

٨ - ما هو مركز الشعوب والحكومات

فكل بحث أو دراسة لشئون العالم وكل كفاح في سبيل تحرير الشعوب وإفادها من برائن الاستعمار ومشاكله يجب أن يسبقها تعرف هذا التوسع وأثره وأهميته ومداه لكي نستخلص القواعد الأولية التي تعرفنا العلاقة بين الشعوب المحكومة والدول الحاكمة وهي التي تدير بصيرتنا ونحدد مركزنا إزاء أوروبا لكي يركز على أساس منطقي معقول موقف الأجيال القادمة من هذه السيطرة وعلاقتها بما يحيش صدور الشعوب من آمال وما نرجو الوصول إليه من أهداف حتى نتحدد نهائيا منها .

وأول ما يبادر إلى الذهن هو التساؤل عن أثر هذا التحول

أو التطور العالمى الذى كان من نتيجته أن انقسمت الإنسانية إلى فريقين

١ — أُمم قوية سائده مستعمرة

٢ — أُمم ضعيفة خاضعة : لا تجد رغم جهودها الفرض

لملاحقة الأولى .

٩ — أثر السيطرة الأوربية :

فسكن هنا صريحين أمام الحقائق وإن كانت مرة علينا .
كان من أثر هذه السيطرة أن تحطمت المذبيات القديمة التى كانت
سائدة في عالمات العالم من ادثرب ولاشت نفاياها وآثارها وأنظمتها
أمام مدية الأوربيين وتفوقهم المادى والعسكرى
١٠ — نتائجها السلبية والإيجابية .

ان الأثر السلبى كال مطهره صياح استغلال الشعوب الآسيوية
والافريقية وفقدان حريتها وضميه الطبقات الحاكمة فيها فلم يعد
فيها مجال من الصنف الأول وهذا النوع من القادة هم عدة الشعوب ودورها
أما الأثر الإيجابى فهو أن السيطرة الأوربية اقترنت بزيادة
السكان في المستعمرات بل أصبحت هذه الزيادة مطهرا من مظاهر
الإستعمار الأوروبى ويرجع هذا إلى التقدم المادى وحالة
الاستقرار التى فرضتها الدول الحاكمة حتى لقد لاحظ الاحتماعيون
أن هذه الزيادة في سكان المعمورة لم تعرفها الإنسانية من قبل في
أى عصر من عصورها السالفة^(١)

(١) لا بد من الحذر لئلا يفرق من بينا وبين وسط بينا وبين سكان . فم تستند
تركيا ويران والقوقاز وأرمينيا كانت عصبه من ميران في سابق

ثم كان من نتيجة هذه اسطرة وما تبعها من تنافس وتعلمل في جهات مختلفة ان ارتطبت أجناء العالم بطرق مواصلات سهلة كانت أولى آثارها ان حصصت الشعوب حضوفاً أحسن أمام القوة إذ فشلت كل محاولة للتورات واستعمال القوة وأصبحت علاقات الشعوب مع القوة العاصية هي علاقة التابع للتوسع^{١١}

وهذه ناحية سلبية نقابلها أخرى إيجابية تنحصر في أن هذه الأمم التي جهلت بمصها حياً وأتى تنافرت في الأعصر السالفة وجدت نفسها تحت الاستعمار الأوروبي وما أدخله من سهولة الانتقال في مركز يسمح لها لتعارف واستعادة العلاقات والروابط التي كانت قائمة بينها يوماً ما ثم انقطعت

١١ — العلم والاقتصاد سلاح المستعمر .

استقرت سيادة الأوروبيين وسيطرتهم على الأرض بتفوقهم العسكري ومقدرتهم على استعمال الأسلحة الحديثة وأما أن تقوم الشعوب عليهم حيناً أحدوا بأنظمة تجنيد المرتزقة وكتائب الشعوب الملونة فألقى عبء القتال واستناب الأمن عليها وبرت تكاليف الحكم والإدارة إلى أدنى ما يمكن أن تصل إليه فانتقل الإستعمار من ميدان الفتح واستعمال العنف إلى طور جديد هو الاستعانة بالعلم والاقتصاد على تنظيم استغلال المستعمرات وثرواتها المعدنية والزراعية على أسس جديدة

(١) ينحدر سكان كثيرين إلى عهد الاستعمار في أسسها ، أما نحن فعلى أن نعيد البلاد الآسيوية أو الأفريقية قد أصبحت تحت رحمة المستعمر في أي وقت شاؤوا قد قهرها بقتالهم .

أى اتجهت الحكومات وهيئاتها الاستعمارية إلى تحقيق فكرة سيطرة الإنسان على مراحى الحياة وإحصاع الطبيعة لسطانها وأرادته بكل ما فى العلم من قوة ناترة Révolutionnaire وما فى الاقتصاد من قوة منتجة وأحدث هذه الاتجاهات تطور بسرعة فائقة حتى أحدث مطهر الابداع للسيرة هذه النهضة نحو تحقيق أهداف عالمية .

١٢ - الدراسات العلمية فى خدمة الدول المستعمرة لحكم الشعوب :

أما من الناحية السياسية فقد أخرج القرن الماضى لدى الدول التى تقدم لديها الوعي الاستعمارى نشاطاً أشد خطراً من الأسلحة وأقصى وأعنف أثرأهو الدراسات العلمية والنفسية وتطبيقاتها على إدارة المستعمرات وفى حكم الشعوب المملوكة على أمرها .

لقد أصبحت هذه الدراسات أقوى دعائم سيطرة الأوربيين ودليل تفوقهم ومقدرتهم على قيادة الشعوب التى يحكمونها وتولى مقاليد زمامها فكانت لتفج نى وصاوا إليها كمنحاحهم أمام إحدى مظاهر الطبيعة لى الأوقاتاها وأحصعوها لمشيتهم فى عالم الخيال والخيوان فطفوها تناعاً على فريق من بين الإنسان الذين أوقعتهم الأقدار تحت أحكامهم .

١٣ - لنظام الاقتصادى فى القرن الماضى : اسباب المفتوح ،

ومع توالى نجاح الأوربيين فى عملهم أصبحت مشكله المستعمرات كبرى

(١) منهم من هذا ان الاستعمارية و و . من هم فى حاجة لدراسة و . وفادة لأمم شرمة حتى لا يلازمهم القتل و ملاحظهم الإحطاء .

مشاكل العالم المتمددين لأسها وليدة انظام الاقتصادى الذى ساد الدنيا بين
حرين وكان من أثره تلك الارومات التى عاينتها الاساسية فى العالم الرأسمالى
بعد أن أصبح مكونا من مجموعات كبرى ذات صبغة عالمية يسودها التنافس
أما فى القرن الماضى فقد كان النظام السائد فى عالم الاقتصاد
هو نظام الباب المفتوح وهو يتلخص فى أمرين حرية البحار وحرية التجارة
ثم التكافؤ فى المعاملة أى محاربة الاحتكار والمعاملة المصادرة وفتح
الأبواب المعلقة وكثير الأسوار الفولاذية التى تفرضها بعض
البلاد وتمسك بدرجة من الاستكفاء ومما لديها .

فالأوراح الحرية من مختلف الجسيات الأوروبية التى قذفت
بقنابلها موافى الصين واليابان فى القرن الماضى كانت فى عدوانها تفرع
الأبواب المعلقة وتفرص سياسة الباب المفتوح - وفى مصر كان
تساهل الدولو ماسية الأوروبية لبقاء الاحتلال البريطانى يلازمه دائما
اشتراط العمل بسياسة الباب المفتوح وأخذ الصناعات على الأنكباب
ألا يكون لهم مركز تجارى ممتاز أو أكثر رعاية فى الشؤون
الاقتصادية والمالية عن غيرهم ولذلك بقيت حرية الحكومة المصرية
فى فرض الضرائب الحركية وريادتها مفيدة كما كانت فى السابق أيام
السيادة العثمانية رغم سيطرة البريطانيين المباشرة وتدخلهم بغير حق
بوجود جيش الاحتلال (١)

(١) ستعظم هيئة الأمم المتحدة - بسياسة ادب المفتح الاسوار الفولاذية
والكتل الاستعمارية لفرده وهو ليد وليرتجال - حذمه للاسماز الانجلوسكسونى

وكانت سياسته الباب المفتوح إحدى دعائم القوة البريطانية الاستعمارية بين استعنتها بريطانيا استعلا لا شائنا كلها أرادت التدخل في الشؤون الداخلية للام أو إيجاد مبرر لسياستها معتمدة على أنها تعمل بوحى الرغبة الدولية العامة لاحترام مبادئ وقواعد وضعت لصالح المجموع الدولى الاوروبى .

١٤ - النظام الاستعمارى يحتم الخروح عن هذه القاعدة :

وحينما تقدمت الدول الاوربية في طرق استغلال اراضيها بالمستعمرات وكثرت مواردها ورادت ثرواتها زيادة هائلة ، تطورت علاقاتها مع ممتلكاتها وسارت اشواطها نحو الوحدة الاقتصادية أو ما يشبه الاتحاد ولتكتل بين الدولة الاوربية وما يحض لها سياسيا من الاقطار فيما وراء البحار .

وأدى هذا التطور إلى أن أخذت كل وحدة تطمع في الاستكفاء بنفسها والاستقلال بمواردها .
وظهر هذا الانجاء في ناحيتين ،

الأولى - أن الميراث التجارى الذى كان يعتمد على حرية التجارة خضع لمقدرة الدول الاستعمارية واستعدادها لتصرف الفائض من منتجاتها الصناعية في المستعمرات التى تملكها .

الثانية - أن المواد الأولية التى كانت من المبدأ تحت متناول يده

بقية العالم عملاً بمبدأ حرية التجارة أخذت تنحصر رويداً رويداً في الأقاليم الأفريقية والإسيوية وغيرها بيد رجال وشركات السولة الحاكمة فأصبحت بعد مرور سنوات قليلة محتكرة بيدها وبعبدة عن ومساوئ الأسواق الحرة .

ولما كان كوكبا الأرضي محدود المساحة ولم يبق منه بقعة خالية لم يرفرف عليها علم أحمر أو أرق أو أخضر ولم يبق شعب من الشعوب إلا وأوقعه الخط السيء تحت سيطرة أو حماية أو وصاية جمعت الدول الاستعمارية ثروات طائلة من احتكارها لهذه المواد وكان من الطبيعي أن تتلاقى القوى الاستعمارية على حدود مناطق لا تتعداها وإلا تصادمت مع قوة لا تقل شأنها .

١٥ - التنافس في دائرة التوازن بين القوى :

انتهى التوازن الأوروبي إلى توازن عالمي مساح وأدى التوسع الاستعماري إلى تنافس سلمي ظهرت بوادره ابتداء من القرن العشرين فشكلة فاشودة المعروفة تمثل القمة في التنافس الفرنسي البريطاني على اقتسام مناطق أفريقية ثم تلاقى الكتلتان الاستعماريتان في اتفاق سنة ١٩٠٤ المشؤم الذي أطلق أيدي فرنسا في شؤون سلطنة مراکش واعترف ببركر بريطانيا في مصر وأوجد الحلول لمشاكل الاستعمارية بين الكتلتين .

وبعتر اتفاق ١٩٠٧ بين بريطانيا والروسيا حلقة أكملت الاتفاق الأول لإدائه جعل من إيران مناطق نفوذ وحدد الموقف أمام أفغانستان وأفالييم أخرى في آسيا وسد الباب على هذه التلاحق والتنافس أو قل أبعث الاحتكاك بين قوتين استعماريتين تحميان الحرب والتصادم فيما بينهما .

ومع قيام مثل هذه المعاهدات والاتفاقات بين التنافس بقي قائم بين هؤلاء المستعمرين وغيرهم ووصل إلى مداه قبل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وطهرت بوادر السايين على اغتصاب المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية واحتلالها وتحصينها حصصاً لتسيطر على طرق الملاحة والمواصلات الدولية استعداداً للحرب التي كانت لا شك آتية .

١٦- أوروبا تحوص الحرب العالمية الأولى وهي في عنفوان قوتها .

كانت أوروبا في عنفوان قوتها ومجدها وسلطانها وقد ورثت الأرض ومن عليها حينما قامت الحرب العالمية الأولى وكانت حرباً قاسية صروساً حشرت فيها الدول الأوروبية رهرة شهباً ولما وصفت الحرب أوارها كانت أوروبا كرك شرعي كبير يخرج من وسط أعصار هائل .

وكان من مظاهر هذه الحرب أن شعوب المستعمرات شاركت

الامم الاوروبية القتال فيها بأموالها ورجالها والغريب أن نتيجة هذه المساعدة كانت وخيمة على هذه الشعوب إذ بمقدار عظيم الضحايا التي بذلت والخدمات التي أدتها المستعمرات ، زادت أطماع الدولة الحاكمة في التمسك بها والتحكم فيها .

١٧ — متاعب أوروبا :

وظهر جليا بعد الحرب أن أوروبا تعظم فيها أكثر ما خلفته القرون الماضية من انظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية .

فلو قدر لمرشح الوزير النمساوى أو لغيره من أساطين ونمردة الرجعية الذين حُبل إليهم أن الاقدار تسير طوع ارادتهم ، أن يروا بقايا الانقراض والحرائب التي تركتها الحرب وذلك الفراغ الهائل في نفسية الشعوب ومثلها العليا وكيف كانت هذه الامم قاب قوسين أو أدنى من الدمار والانحلال إذن ليصعب عليهم أن يجدوا أثرا من الانظمة التي فرضوها على هذه الشعوب في مستهل القرن الماضي . لقد تحررت أوروبا من آثار القرن التاسع عشر وتقاليدهم ولكنها لم تنهأ بحالاتها الجديدة إذ دخلت عصر اشعرت فيه لأول مرة بالفقر المادى والمعنوى وواجهت نوعا من المتاعب والمشاكل لم تألفه في ماضيها فهي لم تستعدقوتها السالفة ولم تأت لها الأيام بالسلم والراحة والطمأنينة التي كانت تحلم بها طول أيام الحرب .

كادت العشرون عاما التي اعقبت الحرب العظمى كشر يط سينماي
للحوادث استمر يعرض علنا مصائب الشعوب ومشاكل الحدود
والاقلية وتلوثات المساحة^(١).

وكان اللقان في القرن الماضي يحمل هذا الطابع فأصبحت اوربا
باقايا ثانيا لأن ما نازقه الحرب وسنوات ما بعد الحرب من المشاكل
والشكوك والريب والاطماع كانت اصعاف ما عرفته اوربا في قرنين من
الزمن وقد جاءت هذه كلها وجراح اوربا لم تلتئم بعد فكانت شديدة
الوقوع على الشعوب ومقدرا لها.

كانت اوربا قبل الحرب ست دول عظمى هي بريطانيا وفرنسا
وروسيا ثم المانيا والنمسا والمجر واليابا هي التي تسيطر على الحرب
والسلم وبهم سياستها على قواعد الدبلوماسية السرية وأسايلها المتتوية
وانتهت الحرب فادا أكر متاعب اوربا تسببها مجموعة من الشعوب
الصغيرة الى أو حداثها معاهدات لصلح دون أن تستند على دعائم
تاريخية ثابتة أو أسس راسخة وهذه الدول المرتحلة أمضت اعشرين
عاما بين الحربين تأرجح بين اليازات المختلفة وهي لم تثبت على
مبادئ واحدة ولم تتبع سياسة معينة وكما كانت في الماضي ستكون
في المستقبل من أهم العوامل الى سثير الحرب العالمية الثالثة.

فقد كان تنازع هذه الدول على مقاعد عصبة الأمم يصحك اوربا

(١) ان نزع الذي تركته امه اضر به سرج ق وسط وروبا : قد
اعترف به أولئك السييون الذي نادوا بتحطيط - واليوم يعترف
الانجليز انهم كان محطهم في صاف اداس ومحطتها.

كما كان اجتماع مجلس التحالف الصغير المكون من تشيكو وسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا لتهديد حكومة المجر المجردة من سلاحها يدل على شجاعته ولكن هذه الجرأة لم يجد لها العدم من أثر حينما انفض المجلس وبصايل وانكمش امام قرار ضم النمسا لالمانيا اسكرى واحتمل تشيكو وسلوفاكيا امدادهم التحالف الضعيف وسط ضحكك لحرية والنهك ومنه

هذه الشعوب والدول لصغري كانت تسب الكثير من لصحيح ولسكنها لم تكن يوما ما مستقلة في سياستها ولم تكن محصية للموانيق والعهود التي قطعتها على نفسها بل مدعى في المنفس كما كانت في الماضي العربة بيد السكس اسكرى .

١٨ - التهيئة للتركيب الاقتصادي في الكتل الكبرى .

فقدت أوروبا مركزها المممتاز وسط العوصى التي كانت سائدة فيها بانهيار لقوة التي كانت تمتلكها شعوبها أمم العالم ، ولدت بحمت الدول العظمى الاستعمارية إلى دعم مسسلب معتمدة على نحو من عالمية أو كومة أكثرها محلية أو أوروبية ، وكان التفوق الصناعي والمقدرة الرأسمالية تسير بالدول الاستعمارية نحو التركيب الاقتصادي أو في طريق خلق نوع جديد من الامبراطوريات الاقتصادية أو الوحدات المسكوبة من مجموعته من الدول والأمم التي وإن كانت

غير مرتطة سياسياً وهي مداونة اقتصادياً ومادياً وهذه كانت بداية
الكتل الكبرى التي ظهرت في العالم، رافداً اليوم في عفوان قوتها.
١٩ - حروبها من الأزمات ومواجهتها للمناقضات -

ولم يكن هذا الرخيه في حلم أحد من الناس بل هو النتيجة
الطبيعية للعوامل التي سببها لتوسع الاستعماري الحارف وهذا
التطور الذي صحب العلم وبدا كانت هذه الأمم في عمرات هذه
افتقره تسير بخطوات واسعة نحو " كيد " سببها معتمده على تفوقها
ظهرت المناقضات في أنظمتها الاقتصادية " .

فالأزمة الرأسمالية وقوة عند استثمار المواد الخام وكذلك
شركات التترول العالمية لم يمكن أحد من رجالها في الأزمات المتتالية
التي بدأت سنة ١٩٣٠ وعمرت أمريكا وأوروبا وهددت بالإفلاس
المؤسسات الاقتصادية والمالية الكبرى ولم تكن هذه الراجات
أوروبية أو أمريكية أو محلية حتى يمكن تلافيها بل كانت عالمية تشبه
السنوات المعجاف التي تحدثت عنها الكتب السماوية .

كانت هذه الأزمات الواقعة بين حرتين امتحاناً قاسياً للأنظمة
الرأسمالية وهيكلها الاقتصادي وقوة المقاومة لدى الدول الكبرى
ثم كانت أهم من ذلك إذ رهت على قوة الرأسمالية واستعدادها
للحروب منتصرة من وسط الأزمات وقابليتها لمواجهة المناقضات

(١) م تظهر المناقضات في نظام الاستثمار بكل دولة بل في المجموع
الاقتصادي كله نتيجة لزيادة الكتلة الامرادي لكل كتلة من المستعمرات

وهي مبررة لم تتمكن الشيوعية بعد من إثباتها أو لزور بها رغم خروجها منتصرة من الحرب الأخيرة .

وكأن هذه الأزمات دافعاً قوياً أقنع بريطانيا وأمريكا أن مستقبل العالم يتطلب تعاونا وتعاوناً بين حكومات الانجلوساكسون وندت هذه الظاهرة واسعة لمن أهدت إلى خطاب لرئيس ويلسون سنة ١٩١٦ وهذا التدهام هو الذي أدى إلى دخول الولايات المتحدة في الحرب وهو الذي جمعها تقف في صف بريطانيا بعد انتابها ، مواجهة مشا كل العالم الجديد . والذي سيحكم يوماً تأليف كتلة مهما أراء السوفيت .

٢٠ - نظرة شرقية للعالم من حرب ١٩١٤ .

لم تحصل أمم العالم على سى من حربها بعد الحرب الأولى ، وبقيت كما كانت حاصفة سلطان أوروبا ودولها " ومع هذا كان يبدو لناظر أن الدنيا يمررها طوفان أو فيض هائل من حيرات الله ، ولم يحدث في العالم أن وصلت مستحرجات المواد الأولية إلى ملايين من الأطنان من كافة الأصناف إلى ما وصلت إليه في السنوات العشرين سنة ١٩٢٠ ١٩٢٩ ، وما يقال عن المواد الأولية يقال عن مستحاج الزراعة والصاعية وغيرها مما تحرجه الأرض وتصنعه الإنسان ويقابل هذا الميصر العظيم حرمان عريب مرض على أكثر من

(١) استعملت مبادئ وسو لنحروب شعوب المستعمرات وصفت في أوروبا وسنت فيم الحرب الثالثة

تلقى الإنسانيه الذين يعيشون في مستوى من الفقر والفاقة لا يساiban مع المستوى اللائق بأنسان ففي الوقت الذي كانت فيه ثروات العالم وحاماته تنقل بانظام إلى اسواجر بين انقارات وصال استعمال الشعوب الاسيوية والأفريقية وبعض الامريكيه في منتهاء بل إلى درجة لم تعرفها الارض قبل ذلك وفي الوقت الذي كانت الدول الحكمة تصرف الملايين على بناء الاساطيل وعلى ميرايات الجيوش كانت هذه الاجراء الملعونة على أمره من دولات المجاعات والأوشة وتحصر من اسائها ما لم تكلفه الحروب من حسارة في الارواح وكان ما يصرف على انشاء بارجه واحدة يكفي لتعميم انشاء أمة ررح تحت برائن الاستعمار وما يصرف على هرقه دبابات مدرعة يكفي لا يواء أهل مدينة واسكانهم في منازل تشبه البيوت التي يسكنها الناس في أوربا وامريكا أن السليح الحارف استهلك أحسن ما اخرجته عقول البشر واقفر الانسانيه وجعل نقاعا من الارض تستمر خرابا إلى اليوم .

ان أكبر متنافسات لمدينة احديثة مدينة الرجل الايص سواء كانت رأسمالية أو شيوعية ديموقراطية ام بارية هي أن عالية سكان الارض لا يصيبهم مها سوى البرر اليسير ان لم يكن أقل من ايسير من العيص الذي تحرجه اراضي بلادهم سواء كان الاستعمار اوريا

أو مريكنيا أو سوفيتيا فهو واحد لا حيز ويصدق في سكان المستعمرات والبلاد المحكومة قول الشاعر العربي ،

كالعيس في البداء يقطبها الظم والماء فوق ظمها محمول

ولنصرب لهذا مثلاً عن سكان الأرض وتعدادهم وهو لا يقدر على

ألفي مليون نسمة ثم حدد المستوى في بلد من بلدان المستعمرات

في آسيا وأفريقية ، أو في بعض بقاع أمريكا الجنوبية نجد أن أكثر

من نصف السكان من رجال ونساء وأطفال شبه عراة وهذا مما يجعل

أكثر " من نصف الإنسانية في حاجة إلى الكساء بينما كانت آلاف

الأطنان من القطر الخام يحترق في المزارع الأمريكية من أجل

نصف ريال يدخل في حياوب المنتجين .

ولا تزال مشكلة نقص البداء تشغل العالم وهي مشكلة مجيدة : إذ درسها

على ضوء الدروس التي تلقيناها مصر في أدوار العلماء والمجاعات التي مرت

بها في السابق وهبطت بسببها عدد السكان وحررت ماضق كانت عامرة

في شمال الدلتا ، وفي مديرية البحيرة ، وعلى الطريق بين الإسكندرية

ورقة (٢) .

ولا تزال ذكرى مجاعات الصين والهند تعاودنا ، ولا يمر عام

رغم ارتباط العالم وسهولة مواصلاته دون أن نسمع بإصابة المناطق

الروسية بنقص شديد ، حتى في سنوات الخصب والرواح نجد أن

(١) قدر الكاتب الأمريكي إستور داد عدد الشعوب الملوقة بأكثر من نصف سكان الأرض (٢) راجع كتاب المربى (قائه الإله تكشف الغمة)

أهل المستعمرات لم يهتم من فئة العداء ونقصه ، بل ذكر كثير من رجال الاستعمار أن هناك ملايين من بي آدم لا يصيبهم غير وجبة واحدة وصنبيه في اليوم الواحد ، وكثيرا ماتكون مكواه من المرق وقبيل من الأرض بينما هناك الأطنان من المواد الغذائية كانت تستعمل للحريق في العاطرات والبواخر لأن بلادها تريد أن لا تنحسر رايالا من أنماها

وإذا كان الاستعمار من وسائل تعذيب لشعوب الخدمة دول معزومة ، أو طبقة حاكمة فيها فإن الاتحاد السوفيتي ضرب مثلا في تعذيب ١٨٥ مليونا من الناس تطبيق نظام خاص فإن المبالغ التي صرفها الاتحاد على المزارع التعاونية والتمردية ودخل الصناعات قد نقلت فعلا الاقتصاد الروسي إلى الأمام ، ولكنها اشترت بشئ فاحش وبجرائم لشعوب من حق الحياة الحرة ، وهل يمكن معرفة عدد السعداء حقيقة بين حدود حكومات لاتحاد السوفيتي .^(١)

مهما كانت الظروف المحيطة بالعالم ليوم وهي لا شك غير مشجعة فقد كانت مثل هذه الظروف سائدة قبل الحرب ، ولكن البات كانت رغبة في الخروج من هذه الحالة أما اليوم فلا توجد هذه البلية . بل كل الدلائل تقنع باقتراب لعاصمه في ثلاث الأيام قامت الدعوة لعقد مؤتمر اقتصادي عالمي في مدينة

(١) خصوصا بين شعوب آسيا الوسطى والقوقاز والعراق الإسلامية

لندرة ولم يأت الاجتماع إلا بعد أن توالى الصكوك ونعاجت
الآرماة قبل سنة ١٩٢٣. وكان المرض الخروج من حالة مهمة .
وتعود في الذاكرة لاقتصاص بعض ما وعته نفسي ، فإن رعم
استعاضى عن التفاصيل أذكر مبدأين يودى بهما وقتئذ .

الأول - أن بقاء الاتحاد السوفيتي بحكم سبع الأرض المعمورة
تحت انظمة تجعل منه بقعة بداخل سور هولادى ، ويمسح أهله عن
الاتصال والأخذ والعطاء مع الأمم الأخرى " قد أحل بالتوازن
الاقتصادى العالمى ، وإن الأمم أن يتحقق لها الخلاص من الآرماة
إلا إذا عاشت الديا تحت نظام متجاس . وقال الآخرون إن علة
المدنية الحالية هو كثرة الانتاح ، وإن علاج الآرماة هو رفع
مستوى الجماعات البشرية الى يعيش في المستعمرات ووضعها في مستوى
يسمح لها أن تنبع وتشتري وتحيا حياة الإنسان وهذا هو المبدأ الثانى .
أما النظرة الشرقية بعد هذا فترى أن الحياة لا تحتل كل هذه
المفارقات وأن ما يصرف على الأساطيل والخيوش هو مثل ما يصرفه
السوفييت على جيوشهم ومزارعهم ومصانعهم تدفع ثمنه البشرية
من حرمانها فلا يرتفع مستوى الجماعات في المستعمرات إلا اذا وطنت
الأمم الأوربية نفسها على السلام لأن الأسلحة التي تجمعها هولادة هي
من دماء اندونيسيا والعرب أنها توجه في الهابة إلى صدور الأمم المطلوبة

(١) لا تزال هذه الفكرة قائمة الى اليوم وهي المحرك الاساسى للحرب القادمة

والصناعات التي يبيعها السوفييت ويدلون الجهود من أجلها أقديس من على الآخرين إقامتها وإشاورها. وسياتكاليف أقل بدون أن تتحمل الشعوب لسوفييتة هذا الجهد المائل والحرمان لدائم. إنك تحكم على فرد بالاشعاع أشاقه مدة ضوية لتمده بأن يملك يومًا عماره أيوميليا مع أن فتح هذا السور الفولاذي من حولهم بعيد الحياة إليهم. ويجعل من آسيا موصنا واحدا بشر كاهه وهذه رسالة الرأسمالية في نظرهم.

كان مؤتمر لندرة الإقتصادى كسوق قام بهم انقص ولم يرج فيه أحد فلم تحل مشكلة المواد الأولية لأب أساس الاستعمار وقيت هذه المؤتمرات أعصابها: أي سكان البلاد المظلومة على إحالة التي وخدم المؤتمر عليها. ولم تلتق نظريات الروس مع عالم رأس المال، ولم تنق حتى الأمم الرأسمالية عند فكرة واحدة ولو أمكن الإنفاق على المواد الأولية ورصيت الدول الاستعمارية أن تشترك معها بقية الأمم في شيء من حيرت لأرص لما قامت الحرب العالمية الثانية وهكذا تمزعت اللجان في المؤتمر ونورعت الأعمال ووضع انتقارير وحسر العالم آخر فرصة لإتمام السلم إذ بعد فشل مؤتمر لندرة سنة ١٩٣٣ تسابقت الدول إلى التسلح واستعدت للحرب العالمية التي بدأت منذ سنة ١٩٣٣ ولم تدم بعد.

قامت هذه الحرب ولعام مكون من عدة كتل تختلف قوة وهي:

١ - الولايات المتحدة وامتسكانها ودول الأمريكيتين.

- ٢ — بريطانيا وأمراطوريها وأصدقائها ومعها هو لائدة
ومستعمراتها وأبرنعال ومستعمراتها.
 - ٣ — روسيا وأوروبا وآسيا .
 - ٤ — فرنسا ومستعمراتها وديها ، جيكا وتوايها .
 - ٥ — اليابان والشرق الأقصى .
 - ٦ — ثم إيطاليا تحاول أن تنبى لها أمراطورية .
- أما بقية العالم فاستمر حاراً يضرب إلى المستقبل بأساليب القرن
الماضي أحياناً وكانت ألمانيا تسير بخطوات حذره وهي أتى تملك
أكبر جهاز صناعى فى أوروبا ولا يفتقرها سوى المستعمرات لتكوين
أكبر المكس لعالميه وهدد سرقته منها فى فرنساى ولما وفقت الأمل فى
أحد المواد الأولية بالنم فى مبرلندرة استعدت أن تأخذها باليف
وكانت اسبابا فى موقف أمه شرقية فحاول أن تقلد العرب وسام
من حفتها لتحلم بالارماد أنمحر البحار وفرد ياند' وإيراملا يطاردان
الموريسكو^١ للمعون على سفوح حار أطلس وكانت إيطاليا لا تنفك
تردد أعية الامراطورية الرومانية فى الصباح والمساء حتى صح
الناس من زوف ومجدها وشرائعها وكان للتحالف الصغير مشكلة
تقلق مضاحح كل من رومانيا وتشكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا
هى قعة الأمير الخليل الوارث عرش هانسبرج وكان بولونيا

(١) امريك . . . ملكها . . . من العرب فى عهدها .

(٢) الاسم الذى طلق على الملوك

عربية عما حيادية عاما وانتهى إلى أن جعلها السكولوبيليك
ورير خارجيتها حبيفة لألمانيا ثم دهمه الطائرات الألمانية حتى حرق
شاردا من ملاده .

هذه حانة أوردوا عند قيام الحرب بعد أن وثقت إجتماعات
للدرة لتأليف عدم حديدب لتهاجم والإرادة الحرة ثم طهر أن الفريق لعالم
هو الذي يملك من القوى الإثباتية والدعامات الاقتصادية أكثر
من غيره وأن الأسلحة تدوب نفى والمادى المتطورة والأحزاب
دبلى بجانب هذه السيطرة لصناعية القوة ولذلك أحدث خطوات
لتشكلت تسير سرعه فائقة فهو لاندده والبرتغال يحثها نحو الكتلة
البريطانية وجمهوريات أمريكا الحوية التأممت في النظام الاقتصادي
للوالات المتحدة .

وانقسم العلم الرأسالى شصين : الدين ملحدكو الأرض
وستكفوا والدين يرفعون في المستعمرات وفادت ألمانيا لفريق
الثاني وانضمت إليها إيطاليا وبلدان وحالفها إسبانيا و انتهت الحرب
فاد الرأسمالية مثله في كتلس أمريكا وبريقديا وذهبت اليابان
وإيطاليا وصعقت كتلة فرنسا أمام صحاح موسو بيني الذي مات
بعد أمضى السنوات بقول :

« المستكفون لا يشعرون بحاجة غير المستكفين . وهذه مع
أمراطورتها في الحرة الشمالى عن اقريقيا موضوع هذا الكتاب

(١) رجع الخطب ومؤامرات موسو بيني

Scrit e Discorsi, Benito Mussolini

القسم الأول

فرنسا ومستعمراتها

هذا بحث تخايلي للاستعمار الفرنسي ومتاعبه ، نعرض له بطريقة
احتمالية ، وستعرض بعد النواحي التاريخية والاقتصادية وأحيانا
العسكرية مع الإشارة إلى الوضع لشاد الذي كانت فيه المستعمرات
الفرنسية بين ألمانيا والحلفاء مدة الحرب الماضية .

إن مآلقته قضية فلسطين في أمريكا وأمام مجلس الأمن تجربة
قاسية للعرب لأن الانتصار على الخصم يستلزم فهم الخصم والالمام
بأساليبه . وفي هذه الكلمة أفكار وآراء قد لا تعجب بها ولكنها
في صميم الدفاع عن قضية العرب وحق شعوبه لأنها مستقاة من أقوال
الخصم وهي مدعاة لفهمه ولن تقتصر على حصصك إلا إذا فهمته .

١- فرنسا ومستعمراتها

كانت فرنسا دولة استعمارية كبرى في القرن الثامن عشر خضعت
لسلطاتها مساحات واسعة في أمريكا الشمالية ، وأكثر من منطقة

عنية من مقاطعات الحدود ، ولكنها فقدت هذه المنزلة في حروب القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية فأخذت تجاهد طوال المائة سنة الماضية لكي تسترجع مقامها كدولة استعمارية ، ولقد برهنت تجارب أكثر من قرن على تعذر تحقيق السيادة البحرية لفرنسا ، وكان صياح المستعمرات البعيدة في أمريكا والهند كافيا لاقناع الفرنسيين أنه لا يمكن صمان لنفاعة عن فرنسا دون أن يكون لها أسطول قوى يضارع ما للأمم الأخرى بملكات .

فكان مما فكر فيه نابليون أن يختصر الطريق البحرى الذى يفصل فرنسا عن الأراضي التى تخضع لها بفقد حملة مصر مؤملا أن يجعل منها قاعدة لتوسع الاستعمارى الفرنسى بالشرق ، وكانت بريطانيا تعرف أن هذه الصخرة موجهة إليها فى الهند فوقعت أمامه ، وقطعت الطريق لبحرى عليه ، وأجبرت جيشه على الجلاء ، فالحملة الفرنسية على مصر كانت تجربة برهنت على أن الفن الحربى الحديث قد جعل من السهل التعلب على جيوش المسلمين فى أراضيهم (١) ، ثم فتحت الأدهان إلى استثمار الجزء الأفريقى المقابل لأوروبا ، فهى فاتحة الاستعمار الفرنسى فى القرن التاسع عشر .

ولا تنس أن فرنسا حينها اضطرت إلى إخلاء مصر كانت تفكر فى العودة إليها وتأسيس الامبراطورية الاستعمارية عن طريق البران

(١) راجع Históny of the Egyptian Revolution من معركة الاهرام
A . A . Paton التى ازال ما ضى عالقا فيقول الاور و بين مدة قرون
عده من ان قوة الممالك لا تقهر

امكن ، أوقف على الرمال التي أراد أن يسير عليها لويس التاسع لفتح
 حصر فلق حقه في تونس ولذلك اتجهت أنظار رجالها إلى بقعة من
 الساحل الأفريقي تكون أقرب إليهم وأبعد عن إثارة شكوك ومحاول
 بريطانيا ، فلم نجد أقرب من الساحل الجزائري ، اذ هو أسهل
 طريق للوصول إلى أفريقيا وأسلم ما يصلح للاتحاد من فنه مثل الجزائر
 ووهران وغيرها كرووس جسور للرحيل إلى الداخل ، وقد خدمتها
 الظروف حينما اشتد العداء بين مصر وتركيا فانقسم الشرق على
 نفسه ، وحلها الحوق الجهة التي تطمع باحتلاكها ، وحينئذ قدمت
 بجيوشها بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ على انقطار الجزائر في وقت الذي
 كانت جيوش مصر وتركيا تتعادل والاكنت نتيجته أن انتهى
 بالمش للجانبيين بينما اندفع هي غزو سر سبيح أقدام جودها على
 الأرض الأفريقية ، التي حملت أسلام دون الموحدين وراطين ،
 وكانت في وقت ما موثلا للعروبة والإسلام فحدثت تحارب أهلها ،
 وتشتتهم ، ولما انتهت حروب الاتراك والمصريين لم يكن توسع أحد
 الطرفين أن يمد يد المساعدة أو يحجز بالعودة لنصرة المحمدين من
 فائل الجزائر المدافعين عن بلادهم ، فكان أن سلم الأمر عند
 الماد لفرنسيين ، وإذ نحن أمام أول هزيمة للإسلام شمال أفريقيا
 وإذا نحن في بداية الأزمات التي أعقبت نوع القرنين في المغرب
 ونجح عنها تأسيس امبراطورية ضخمة في بلاد عربية .

٢ - أوروبا تشجع فرنسا في توسعها خارج القارة الأوروبية

وكانت فرنسا في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أقوى أمم أوروبا وأكثرها سكاناً إذ بلغت ٢٥ مليون نسمة وهو عدد عظيم لما كانت عليه أوروبا في ذلك الوقت وبذلك تفاءل الساسة الأوروبيون بالانحياز الجديد الذي سار فيه ووجدوا أن من مصلحة السلام والأمن في القارة الأوروبية تشجيع هذا التوسع والالتزام بسياسة الصمت إزاء هذا العدوان لأنه سيؤدي إلى أشغال قوى فرنسا البرية وإلى توزيع جهود هذه الأمة الحرة في ناحية لا تضرهم خصوصاً إذا وجد صايط الجيش ورجال الجندية الذين أسكرتهم ذكريات الانتصارات الماضية بحال نشاطهم في بلاد بعيدة عن أوروبا ، بعد أن دوحوها إنما كثيره بحروب دامت جيلين ، وقد تم لهم ما أرادوا ، وقنعت فرنسا ورجالها بهذا الدور ، وراد تمسكهم به ، خصوصاً بعد هزيمة ١٨١٥ ، وهزيمتهم في حرب ١٨٧٠ مع ألمانيا

٣ - فرنسا تجمع من أراضي افريقية معسكراً لتموين حيوشها وضباطها

فكان أن أصبحت فرنسا بعد عدة سنوات تملك نشاطاً في افريق وتسيطر على مناطق وأقاليم متسعة في الصحراء تتقل فيها كتابها ويتدرب قوادها وضباطها بأبحاثها على أساليب القتال المختلفة

ويتلقون دروساً عملية بانحادهم الحروب صناعة دائمة ضد الأهلالي
ويمتعون أنفسهم بأدحال الحديد كل سنة على كتب التدريب
والقيادة وأنظمة تعميم عساكر المستعمرات من الجود الملوثة .

وجاءت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وفرنسا ثاقبة دولة استعمارية
في العالم خاصت عمارها وأعلامها تحف على المكتائب المؤلفة من
جنود المغرب ودرعشقر والهدد الصينية والسعال تسوق الآلاف
مهم إلى الموت وتدفع بهم إلى الصفوف الأمامية ، ثم أمضيت معاهدة
الصلح فإذا بمناطق شاسعة من أملاك الدنيا الأفريقية دخلت ضمن
بطاوى الامبراطورية الفرنسية أما عن طريق تعديل الحدود ، أو
عن طريق الانتداب حرام وفاقا على المحمود الحرب الذى سله جنود
المستعمرات من السم والدمود في كمائحهم لتحرير العالم . فإذا
نظرت إلى خريطة الأرض فتمه نجد الامبراطورية الفرنسية كسنة ضخمة
ملونة بلون واحد تقع جنوب فرنسا وكأنها جزء متمم لها ، أو امتداد
لأراضيها لا يفصلها عنها غير البحر الأبيض المتوسط ، ولسمكة
طريق سهل قريب لانه يجمع بين انشطين في ساعات معدودة ،
وهذه الامبراطورية أو المجموعة من المستعمرات تبدو أمام الباطر
والبحر يحيط بها من ثلاث جهات المتوسط : في الشمال ، والمحيط
الاطلسي في الغرب والجنوب ، ويفصلها عن بعضها الصحراء الكبرى

وهي في صحتها ونحوها للإنسان لانتزاع كالأربع الخالي في جريمة العرب . تسحر من الإنسان الذي لم يفت أسراها بعد ولم يحصعها لإرادته فقد فكر المستعمرون في استعمار أراضيها ، وفي احتراقها بعدة طرق مبهدة للسيا . أو يداه خط حديدي يقطعها من الشمال إلى الجنوب ، ولم يتحقق الآن شيء من ذلك لأن مجهودات فرنسا محدودة ، وهي لا تسمح لغيرها من مدون أن يتولى هذا العمل عنها ، ويبحث في ما حدث أن هذا من الاستعماري الذي بدأ بعد حروب ناليون ظفرد في أصبح حقيقة في عصر ما الخالي يبدو كعمل عظيم ساهمت فيه أمه روحها ودمائها وتفكير أبنائها ، وأنه إن كان على شيء فهو يدل على عقربه الذي جاهدوا في إثباته وجمعوا بصير شتاته فيبقى الاستعمار حكم امبراطورية موحدة كأيها لاسعاد أي بلد أوروبي يمكنه أن يحول ناستودال خير تهمه الامبراطورية وثرواتها وأراضيها إلى بلد عظيم في النصف الأول من العالم .

فهل وصلت فرنسا إلى أن يحكم بعض وحكمه ودراسة هذه الامبراطورية ؟ وأن تحسن سياساتها مع الشعوب التي تسكنها ، فتساعدها وتزيد من عدد سكانها ؟ ولا تجد يدهم في ضرب الحصار ، والعلم ، والحكم الذاتي ، حتى نحي ما في هذه الأرض من الخيرات والثروات ؟ الواقع أن فرنسا لم توفق كثيرا في مصار الاستعمار كما يفهمه العالم العربي . وإن وقت في حد لا يناسب مع جهودها ، أو هو

صئيل محاب ما كان يمكن أن تصل إليه . ذلك لأنها بقيت ولا تزال تعيش على أساليب الماضي في إدارة مستعمراتها . وفي علاقاتها مع البلاد الخاضعة ، وإلا وبدا يواحد الداحث في أنحاء أمر اضطورتها ما يشعره أنه داخل حصن كبير أو معسكر من المعسكرات وحوله نطاق من الأسلاك تشكك بحرسه جنود من السعدل يسطر عليهم رجاء أشداء ، أعظم منهم فقطع كل العلائق بين هذه البلاد والعالم الخارجي ، ولا يعرفون سوى قانون اسطش في علاقاتهم مع السكان لماد يلازم الناس هذا الشعور دائماً ، لأن عيوب الإدارة العربية للمستعمرات طاهره واصحه ملبوسة . وموقع الحكومة المركزية ومثلها يشعرنا بالمرار أن فرنسا لم تنجح كأمة حاكمه ولذلك لم تسطع أن تعدم دليلاً واحداً عن رعيتها في تحرير الشعوب المظلومة ولا في الأحاديثها في طريق العلم والور ولا في إعصائها ما تطلب من حرية أو حكم ذاتي ، أو اشراكها في إدارة الأمور العامة ، أو تسليم البعض منها إلى أهلها كما أنها لم تقدم للعالم برامحاً إنسانياً يمكن أن يحقق شيئاً من ذلك .

إنما لا نقر الاستعمار على أي وجه من أوجهه ، وراه سكبته على البلاد والأمم التي أصيبت به ، ولعلنا مع ذلك نقول عن كتاب العرب وعن الغربيين أنفسهم ما يعترضون به على هذه الإدارة

و. سأل مع الساجدين . لماذا تطور العالم ووقف غرب جامدة
لا تتقدم ؟ ولماذا عمرت آسيا موجات سحرية في أفريقيا وآسيا
وتسللت إلى الأراضي الفرنسية وفرنسا نفسها لم تغرب ولم تستعد
شدا من دروس الماضي ؟ ثم كتب عنه عن قرار سياسة الاندماج
والاتحاد وقت سريره عرا من الحكم والاباء مهوسة واصحة ؟
أيمن مرض سياسة الاتحاد دلائل على سياسة التي اتعتها
الحكومة الفرنسية ، وأي كانت ترمي إلى إزاء الخساي والفوقيات
في بعض الجهات وصهرها في بونده و حدة .

٤ - بطاريات استعمارية .

يقول الباحثون في الاستعمار وشنوه . به كنشروع بحاري بحسب
أن ينتهي إلى كتب . على أنفصر سفن وأهول طريق . فلس من
مصلحة أدول احاكمه أن تتخلص تكاليف إدارة المستعمرة . وحفظ
الأمن فيها ، من هي تساعد على أن تنفص استعمرة معتمده على
مواردها الخاصة وكره المستعمر استعمل العنف والثوة ، ويعتد
التلويح بهم صعبا ، ولا اتحاء اليهما محضرة ، يتحاشى الوقوع ما
أمكن فيها ، فهو كاسا حرا الذي يحاسب على لداق ويحب استفسر
ألف حب . ويحدث يعتمد في حكم الشعوب على نفسياتها وفيها
لنستعمل عرائرها لصالحه ، ولا يلجأ إلى السلاح إلا في الوقت المناسب ،

والقدر اللام . وهو أسرع الناس الى ازالة اثر العمق من نفوس
المحكومين . هدد على نجارب الامر التي سارت في هذا الشاهد شوطا
بعيدا قبل ان تعبر فرنسا . و احدث هذه السياسة الى ان تقاد التي
وصعتها حكومات فرنسا المختلفة في سبيلها للاستعمارية كانت جامدة
وصعبة كثير من الايجاب على المذولين تغييرها واستبدان غيرها
بها نعم عملت احياها لتخرج عنها شحوصات قوية فرصت نفسها مثل
الما يشال ليون في اكثر وسكن برعده اعد له . والاستعماري
ان قواعده وفرص اذانه من جديد

ومن عيوب الاستعمار انهم يسيئون الى فرنسا ذات حملاتها تكاليف
باهظة أي أن كل قطر أو جزء من الأرض دخلها ، أو سقطت
حمايتها عليها كلفت دافعي الضرائب الفرنسيين مبالغ لا يستهان بها .
وقد جاءت تكاليف فتح شميلة ، لأن انطباعه ثقيل عليه تركه أولا
العنة والضرر ، فهي قد حكمت السيف حيث يذم السيف ووضع
السيف أيضا حيث كان يذم غير السيف ، وفي ذلك محالمة لقواعده
الاستعمار الذي يسمى القوة المفسدة أكبر كمية من النما . أما هي
خديما حلت تحمّل الأهل الى أكثر من فقره وقوله لعت ولشريد
ولقد عهدت المستعمر بحد له بطانة من أهل البلاد المستعمدة ،
بروضهم على أغراضه ، ونوسوس لهم بما يريد ، وإدائهم ضوع اشار به

يصل بواسطتهم إلى أهدافه وأغراضه ، من غير أن تظهر نيته ، أو تشعر بأفاسه ، ومن دون صحة ولا جلبة ، وللاستعمار الفرنسي من يخدمه باخلاص من رعماء البلاد الخاضعة له ، ولكن فرنسا اعتادت أن تضع على أكاف رجال فرنسيين من العسكريين والمدنيين لعب الأكر من المنوايات ، وأن تسند إليهم مباشرة سلطات الشريع والادارة والسيف ، فإن أساءوا التصرف تحمست هي عب. الأخطاء ، وحسرت عطف الناس بالبيع عن رحلتها ، بينما قواعد المستعمرات تحتم على الدولة العاصم أن ترسم الخطط الكبرى ، وأن تترك أمور السيف لأهل البلاد ، يتولونها بأيديهم ، حتى إذا أخطأوا ، وعالاهم محطون - نرات استبضت مهم ، وأصبحت الأخطاء بهم وأنت عريق حديد تنولى تمثيل نصص الدور ، وهذا النظام الأخير جعل عيوب الادارة الاستعمارية ملصقة بأهل البلاد دائما ، بينما النظام الفرنسي يضع العبوب على - أس الدولة المستعمرة ويحملها لأخطاء والأعفاء كما في .

ه - تأخر المستعمرات الفرنسية في ميدان الحصار وأسائه .

وهاك ظاهرة أخرى لها أهميتها ، ونكاد نهردها المستعمرات الفرنسية وما يشبهها من ممتلكات بعض الدول الأوروبية ، التي احتفظت بمستعمراتها كثرات تاريخي لماض قديم ، وهذه الظاهرة

هى أن التقدم المادى الذى صحب لعالم فى السنوات الماضية والذى فرص نفسه على أغلب المستعمرات فى قارات العالم لم يشمل الأمبراطورية العثمانية ، ولذلك إذا تحدث الفرنسيون عن مجهودهم الاستعماري وملاؤوا لعالم تكتيهم وشراتهم فهو مجهود عظيم من وجهة نظرهم وحدهم ، ولكنه مجهود متواضع إذا قيس بما قامت به الأمم الاستعمارية الأخرى ، فإذا زلت شمال أفريقيا وهى من البقاع الخصبة الغنية بمواردها ويزوانها المعدييه ، وقارنت ما عملته فرنسا هناك بالمجهود الذى بذله الاستعمار فى نواح مماثلة لوجدت أن مجهودها لم يصل إلى الدرجة التى تسمح بها حصاره القرن العشرين وبما تضمنه بين أبدي الإنسان من وسائل تحكمه من السيطرة على الطبيعة ومن احصاءها لإرادتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة إذ تجددها فى كندا وأستراليا وأفريقية الجنوبية ، وريادة الحديد .

٦ — تحليل هذا الوضع :

ويعتقون هذا النقص أن فرنسا بلد زراعى فى حياته الاقتصادية وهذا الوضع ينقص من طاقه فرنسا وامكانياتها كدولة عظمى ، ثم هى وطن المسكيات الصغيرة ولذلك يبرر فيها عامل اقتصادى هام هو عامل الادخار أو التوفير التقوى الشعبى الذى يعتمد فى تراكبه وازدياده عاما بعد عام على ملايين من الناس وقيل أن هذه الأمور

مجموعة تؤثر في سياسته لدول حينا توجه عملها في المستعمرات
لإستغلال مواردها وذكر بعض الكتّاب أن فرنسا كانت تحسن
صداقها من ناحية فتح أبواب مزاواريها لنشاط الدول
الصناعية الكبرى ، مثل أمريكا الشمالية ، أو بعض الدول الأوروبية
والسكن رجال الحكيم وأساطين الإستعمار حرصوا منذ من طويل
عن وضع العراقين الحركية والتسريعية لمنع حدوث هذا النشاط
من أفضلو حدود أمبراطوريتهم وجعلوا منها ماضي محرمة ومنذوعة
لأى تدخل يأتى بها من الخارج .

ولا شك في أن فرنسا كانت لها صناعات من الدرجة الأولى
وكان هذا في امرت الماضي ولكن ظهور الصاعه الضخمة ونظورها
السريع في المدن أوروبية أخرى جعل منها لبدأ صاعيا في الدرجة
الثانية ولقد ذكرنا في بحث سابق أن التركيز الإقتصادي بين الدول
الصاعية والمستعمرات أو بين المستعمرات وبعضها يعتمد على
لتفوق الصناعي والمعدة الرأسالية والإنتاج الواسع وهي مجموعة
تمهد بدولة صاحبة شأن أن تسير بالمستعمرات ومناطق لنفوذ
نحو التكتل الذي يجعل من هذه الدولة قوة عالمية ، أما الإستعمار
الفرنسي فلا يزال في الدور الثاني الذي لم يتطور هذه الوثبة ، ولعل
شعور الفرنسيين بذلك هو الذي أملى على رجال السياسة مشروع
الاتحاد الفرنسي الذي يحاولون تعيذه .

٧ — فرنسا بلد زراعى :

وإذا نظرنا إلى الحالة حاضرة فرنسا كمند زراعى نجد أنها من أغنى البلاد الأوربية ، بل إحدى الدول العظمى التى تعدى حاجة استهلاكها بالنسبة لغيرها ، ومعنى ذلك أنها لا تعاني مشاكل ومضاعب لا طعام سكانها فهى ليست بحاجة إلى مصانع المساحات المزدروعة فى مستعمراتها ، فإذا كان هناك بعض الأثر للظور الانتاحى الزراعى وزيادته ، ويبدو هداما لبلدنا فى بعض المناطق أو مكلالا نسبيا بالبحاج فى المزارع التى يملكها الفرنسيون باستعمرات فيه محدود العاية والوسائل .

٨ — رموس الأموال :

أما رموس الأموال وكونها مجمعة من توفير اشهى فيبدو فى اتجاه أصحابها إلى تفصيل امروص الخارجية للدول الأجنبية الصديقة لتصورهم أن فى ذلك ضمان أكبر من انجارية فى صرفها على مشروعات فيها روح المعامرة ، أراضي المستعمرات وهى قاعدة مستمدة من طسعة الشعب وعملية .

٩ — فرنسا كمند صناعى .

وانعود إلى لاجية اصناعية إذ هى العامل الأساسى فى عمل لكل سياسة استعمارية موفقه نظرا لما تحويه "راضى انقارات البعيدة

من مواد أولية ضرورية للصناعات ، ولأن عظمه الدول لصناعية
 بنيت على ما عده أراضي مستعمراتها من حاديات رحيصة قد
 تذهب أحيانا إلى تمكين كل واحد من احكام بعض هذه المواد
 وحرمان بقية لعالم منها . فاد صربا إلى حالة فرنسا بعد أن انتهت
 الحرب العظمى الأولى نجد أنه ضراً أعياها بعد سنة ١٩٢٠ غير بعيد
 المدى ، فقد بدأ يسيطر على مقدارها خاصة من أنتاج الصناعات
 الكبرى بدعمهم رجال المال ، وعمدوا على ما يشونه في احكام
 من آراء وأفكار ، عمدوا على أن يصحح بالشكرار راسخه وأهمها
 فكرة أمن فرنسا وصيان حدودها أي إيهام الشعب بوجود خطر
 دائم يهدد كيانها ليدل مجهود في ناحية معينة أو ليستعد بتسوية
 التصحيات أي بتطبيق العمل بهذه الطريقة .

١٠ حرب قبل الحرب العظمى وبعدها .

ولم تكن حرب ١٩١٤ في حلة تمكينا من محاولة
 لدول لصناعية الكبرى أي صنعت أو أمنت بناء هيكلا الآلى
 لضخم لافى السوق العالمية ولا في حريقه استدلال واستثمار أملاكها
 وكانت تلجأ إلى وسائل شدة حماية تجارتها في الأراضي لمعركة لها
 فما ذلك وقد بدأت بعد الحرب مباشرة تحمل أعباء إنشاء صناعة
 على نمط الصناعة الثقيلة - يفصل بها صناعات الحديد والفولاذ

والصناعات الكيماوية الكبرى - ولو أن التعبئة الماية والفنية والإشاعة بتوصل إلى هذه الغاية كافة لأن تسعد بمجهودات جيل بأكمله.

وقد بدأ هذا المشروع يسير سيره الطبيعي من يوم استرجع مقاطعتي الإراس واللورين ، إذ حفل صمها من الممطاطتين بين يدي رجال الصناعة بعض ما كان يتقنها من مواد الصلب والحديد ، ويأجبا لو صم إليها جزء آخر من أراضي المديا وهر الروهر إذ خصات فرنسا عن ما تحتاجه من عجم الحجرى .

يشتمل لكتاب المدرسيون بعض المدرس لبلادهم في تقصيرها الاستعماري لى لى يسبونه إلى أن هذا المشروع لصاعى الكبير الذى جعل رموز الأموال تنحى إلى تحقيقه ، اتجاها ترك النشاط في أراضي المستعمرات فاصرا على الصرورى اللارم ، وعليه تأخر تنفيذ المشروعات الكبرى التى وصعت لاستغلال أراضي حال اطلس عمرا كش وطر إليها وإلى غيرها بطرة ثانوية ، أو تأجل تنفيذها باعتبار أنها تكيلية للبرامح الصناعى في أراضي فرنسا الأوربية .

وعليه فهم لا يسلبون بالنقص الذى بدأ من ناحية اللادهم ، ويقولون إن لفترة بين الحريين نقلت الدول الكبرى الصناعية

مرحلة نحر التكتن والتحكك مع المستعمرات بل ذهبت إلى إدخال
الصناعات في أراضي المستعمرات نفسها كما حصل في الهند وأستراليا
وأفريقيا الجنوبية وبقية فرنسا تدبر مستعمراتها بأساليب قديمة
إلا أنها حسنا فعلت لأنها انتظرت الوقت المناسب لكي تستفيد
من تجارب غيرها ، ولكي يحين الوقت الذي تندمج فيه هذه
الأقطار في نظام اتحاد فرنسي يشه من بعض الوجوه نظام الاتحاد
السوفييتي ، وحينئذ تظهر للعالم فرنسا الاستعمارية القوية ، التي لم
تضع نفسها سواها الاستقلال ، بل كانت تحصر برامها صناعيا
مستعمرات سوف تدهش العالم بمبادئه .

وسرى هل وقعت لشيء من ذلك بعد الحرب العالمية الثانية
أم لا تزال كما كانت في الماضي تدبر امراطورية صحمه تقصر عنها
جهودها ؟

إن سنوات الحرب الأخيرة قد أظهرت أعيوب والمتناقضات
وأهم من كل هذه أظهرت القصور عن ملاحمة الغير
وطيحي أن هذا البرنامج الذي يشيرون إليه لن يتحقق بغير
مساعدة الولايات المتحدة إذا طلق في يوم من الأيام .

القسم الثاني

صداقة وعداء وسط النكبات والهزائم

١ - فرنسا والحرب العالمية الثانية بين الديمقراطية والفاشية :

قامت الحرب العالمية الثانية وكانت فرنسا مقسمة في اندا حل :
فالروح ارحميه انى تفتت في ععدة بلاد نورديا وأوربييه .
وآسيا أحدثت في حرب مظهر العنف في مظاهرات الكوكتورد
سنة ١٩٢٢ وهذه الروح لم تكن قد ماتت في سنة ١٩٣٩ بل كانت
تمثل مصالح وأغراض تلك الفئة التي أسره إليهم أساطين الصناعة
الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ هذه البرامج ، وكانت هذه الفئة تؤمن
بضرورة مساله براين ودوما ، لا حياً فيهما ، أو صوغها لإرادتهما
بل لأن الوصية على بأنه يجب تحمل كل شيء في سبيل السلم ، حتى
تستكمل فرنسا سامها "صناعي ولو كان في ذلك الخروج من ميثاق
عصبة الأمم ، أو إهمال المحامات والصفاءات القائمة .

٢ - صداقة بريطانيا

يقابل هذه الروح تبار الديمقراطية مثلاً في روح الجماعات

و لأحرار السبسية وإيرلمان . وكانت جميعا لاترغب فى الاندفاع
طريق إلى غير مأمون لعاقبة . بمقدورها مركزها الأدبى كدولة
عظمى ، إذا حدثت بالمواثيق وانصانات المأخوذة . أو صرحت
بالتحالفات والمعاهدات عرض الحائط ، وبمقدورها صداقة حليفها
بريطانيا ، تلك الصداقة التى بنت عليها سياسة فرنسا منذ الاتفاق
الودى عام ١٩٠٤ . وأكسبتها المواقف الاستعمارية فى مؤتمر الحرية
١٩٠٧ وأمام جداث أعادى فى مراكش سنة ١٩١١ وكانت العامل
الأساسى لكسب حرب ١٩١٤ ١٩١٨

٣ أثر بريطانيا فى سياسة فرنسا .

وكانت هناك دواع على استيفاء تلك الصداقة من الجانب
البريطانى نفسه . فقد صرحت حينئذ تقدم لطيران . وموقف إيطاليا
المعادى أن أراضى الامراضورية لفرنسية ستكون فى السلم والحرب
الممر الطبيعى للطائرات البريطانية . إذا تخاضت البحر الأبيض
المتوسط . لم يكن من الله به إهمال علاقات هذا الجوار ، وما تحليه
المصالح المشتركة للبلدين ، وما يفرضه تعاضد حقوق الارتفاق بين
الأمبراطوريتين ، ولهذا لم تترك السياسة البريطانية هذه الحاحية نسيم
طبقاً للأقدار ، ان مالت بقواتها وعبأت أساليها المحلفة ورضدت
الاتجاه المصاد للحركة الأولى . وكان إن حكمت فرنسا حكومات

بقيت حريصة على مخالفة إيطاليا ، وبرت على هذا أن دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية بجانب الامبراطورية البريطانية

ومن هنا نفهم حقيقة العرص الذي تقدم به نرشل قبل تسليم يونيه ١٩٤٠ واقترح فيه إدماح الأمر اطوريتين في اتحاد واحد وهو العرص الذي توهم فيه انكثيرون بأنه كان عرصاً خيالياً لا يستند إلى أساس .

٤ — الحرب العالمية الثانية ٣٩ — ١٩٤٥ والمستعمرات العربية .

حامت الحرب وتتابعت شهورها الأولى . وتحملها الناس وطأنها على فرنسا ، وظهرت عيوب الأئصمه الفرنسية ، وتعكك الأحرار الحاكمة ، وحيانة رجال الصناعة ، وقواد ا جيش ، وتوالت اهرا تم واصطرت فرنسا للتسليم عقب قتال مدم طويلا . وكان أن طرأ حادث عريب في تاريخ العالم جاء ليحله لإبرام عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا سنة ١٩٤٠ وهو أن يحتل العدو بلاداً أوريبا أوحرم أمة بجيوشه وتبقى أراضي المستعمرات من غير احتلال وليس في ذلك من عجب إذا كانت الهدنة لوقف القتال ثم تعقبها مفاوضات الصلح وينتهي الأمر بإبرامه عقب فترة قصيرة من الزمن كما حدث سنة ١٨٧٠ ، أما أن تعقد الهدنة ويتصح من شروطها استثناء الامبراطورية الفرنسية ونقاء جيوش اجمهوريه للدفاع عنها ويستمر ذلك شهورا

ثم سنوات ما دامت الحرب قائمة وتمر جديد أن الكثير من المشاكل كلها بعدت نهاية الحرب .

هناك فريقان يتحاران حرمانيه . وهما : أمر اضورية لدولة قدمت المسيم في هو حكم ذكر صي التي سبب أهلي دار حرب وقيل ، أه هي حتى احيا . لا سب في أن امير اندر حتى الذي يشعله امير ويجوشه هو در حرب .

ثامه ، موقف القسم من المحس و فهم حرمه فيه تلك الامير اضورية بأقاليمها المتسعة .

٥ — مائة سنة ٩٤٠ ومستمرة ما .

كانت في ، وب عهد به حرب وبعد عهد بعده . وبعد شه باء شعر الناس حرمه أن احذر لدر أرات فر ما أن بصوره . موجود ، ولا يمكن انفسه طرف أو عملياً فقد كان اعانرا اباطية والأكف به حصن فمبطل وكان عصب يصاب ميران المدفعيه ، فيضطر للهيه حتى في صي . او من ، وتعدر البصط الامرسية معها في احداثت الاكود . الا حرات التي يصب عيب اب الحيات في العنوب اسولى ، وكان نالمن حمة عيب في فيسدن ، تشرف على امور الخدمة وترب . وصها أطلعته هذه المنحه الحكومة

الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا لا تجعل من فرنسا
ومستعمراتها بلداً محايداً ، وما يسرى على المستعمرات يسرى على
الأراضي المشمولة بالانتداب^(١) ، وبناء على ذلك أخرجت السلطات
السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطارئين ، وسمحت
بالمرور والبرول في المطارات ، فكان من بريطانيا أن قدّتها ناقابل
ووجعت حملتها لاحتلال أراضي سوريا ولبنان

٦ — حالة شاذة :

هذه الحالة الشاذة لأوضاع الأمر طورية الفرنسية طول مدة
الحرب أوجدت في أراضيها نوعاً من الحكم استفاد منه الفرنسيون
للقوى بين المريقين المتحاربين ، ولو أنه أدى في النهاية إلى حسارة
أسطولهم ، واحتلال الألمان واليطاليان تونس ، إلا أن هذه الحالة
لصحت أنظار الفرنسيين جميعاً للأمبراطورية وأثرها وأهميتها ، وما
ينتظر منها ، وإسها قوة المستقل ، ودرع الشعب الفرنسي ، وغير
ذلك ، مما كانت تردده لصحف وتديعه الأبناء المختلفة من
محطات اللاسلكي .

انقسمت فرنسا إلى قسمين : حكومة فيشي وحركة الجنرال
ديجول . وافق كلاهما على أمر واحد وهو الاحتفاظ بوحدة
الأمبراطورية ، وعدم التفريط في أي جزء منها ، وترجع الأخطاء

(١) أي أراضي سوريا ولبنان

وأعمال العنف التي ارتكبتها في أفريقيا، بضمير الشقيين سوديا
ولبنان إلى تمكن هذه المفكرة منهم، تمكن أعدهم عن لمس الحقائق
ومواجهة تطور العلم الجديد.

وأثر من ذلك أن العلماء حينما وجهوا حسرتهم إلى شمال
أفريقية قام الكتاب افرسيون بحملة قبه في أنحاء العالم، تقول :
إن الامبراطورية وشعوبها قد فمت شد أزر الجبال ديكرول،
وأنها سارت تحت لوانه لإفقاء أراضي الوطن المحله، واتحدوا هذه
هذه الدعاية ديلا على نفود فرنسا وقدرتها لاستعمارية. بل من هنا
أحدوا يبادون مما صمموا عليه من إدخال سياسة الاتحاد الفرنسي
وفرصها بقولهم : إن المستعمرات قد حلت عقب القتال عن الوطن
الأوربي المحمل، وهي إذن ساهمت في تحرير د ومن حقها أن تدخ
فيه وتكون وحدة معه، وتقبل هنا ما كتبه بول فيمليار، لأول
مرة سلم الوطن الأم ونعت فرنسا بحارب في مستعمراتها .

٧- لماذا لم تحتل ألمانيا الامبراطورية الفرنسية :

إن السياسة التي أملت على ألمانيا ترك الامبراطورية الفرنسية
تحت أشرف فرنسا بعد تسليمها لأتزان عامته . بل هي إحدى
المعيات التي سيتسائل عنها مؤرخو الحرب ديلا ، فقد تكون

For la première fois la Meropare a espiué , mais la
Fance a continue a combattre dans ses colonies .»

هناك عوامل عسكرية أو سياسية فرصت هذه الفرصة ومن تحقق
أن هناك مفاوضات وأشياء لا إلى العام يحولها تمام .

من قائل أن التسليم قد تم على يد رجب زورموف بمطعمه عرسا
إذا تخلصت من انطامتها الدستورية ، و تكهت اتحاد قشبي ، من
الذي يبي تشجيع هذه الحركة وإعطاء هذا الاسم بعض المساهم ،
برك المسعمر بلمح . ومن قائل أن تعرض الأساس الذي رمى
إليه هتير هو أن يحسن الأمر بصورة جديدة . سنة ١٩١٥ ما في صدره أمام
الأمر بصورة جديدة في رجب زورموف .

٨ - عرسا - سنة ١٩١٥ في مسعمرات جديدة في عرسا :

يقول صحف هذا أن في عرسا ، في سنة ١٩١٥ في المرة
الأوروبية تعتمد على الأمن والسياسة ، وهي حرة في الحرف مع ، يطالبها
وغيرها فإن الأمر الأوروبية حكم موقعها الحرف في وجودها وحجتها
الاقتصادية سياستها الخاصة بها

ويظهر ذلك حيا في أن العرسا في سنة الأوروبية يعالج
المشاكل روح تخلف عن روح العرسا في مسعمرات لدى يفكر
بالأسلوب الأوروبي الاستعماري ويظهر إلى عظمة عرسا في
امراطورية بها نظرة بعيدة عن تطور السياسة الأوروبية وما تعرضه
من محالقات وصادقات .

وذلك كما كان من عمارات بعدد من مدعشقر و...
الضفة تسمى بلاد صغيرة ثم...
جغرافية لها أهمية كبيرة...
في كل مدنه...
البحرية.

وقد من سبب...
اشتهر...
في محلة كل مدنه...
إلى أنهم واحد...
وذلك...
الأمم...
كمنه واحدة في...

وكان من رأى...
الأويمية والبحرية...
الأمم...
البريطاني تأتي من تشجيع...
في الأمور الخارجية...

(١) لا... هذا...

٩ أنت قضات المأتمين امراضهم بين عالمين

فما هو ان سبعة اوفى والصدقة سبعة وتعدو ضرورة في
أورس، واسكنها صعبه وعن خدمته في افرقية، أو إدار السار الساعف
بدرجهم هاهنا لاسير شواطئ بعيدة في افرقية، من غير أن
تتر الماقتضات وهي الأمر في حضور أن مشكل أ. ا. مات،
ويستعصى حلها، لأن مرده به إلى السياسات "على أرياب قراعد
اثانة لطائع الأشياء، وبلى هذا ضرر تعدو حوادث سور
وسان سنة ١٥٤٣ ومما كل - هيا في صراس العرب،
وبرقة في الوقت الحاضر، وبعد ايجار حلها.

١٠ - أمل ادي في متعلات لثامس ن الدواين

كل الأمان على لاهم باحثة نفسه والمكسرية في الجيش
الفرنسي، وبما يمكن أن توديه لسرق المسكونة من الحودا لافرية، وعلى
يتبين من صافه دد شعوب المسعد ومقرا صلاحته بحروب حديثة
ولذلك أعمو على وحدة الامير طرية امرسية وتركوها بيد الفرنسيين
احتملوا تمامها لأهم تودهم والاحصين ابرضاين وفرنسيين
قد ينقلب إلى عداة وقد مرت حوادث كانت سببها لتصادم وامتال
ولكن الامير طورية امرسية لم تحرك، من إن التقت الذي
نشب في سوريا ولبنان الحضر هناك

(١) حررت : طسا راضي سور - وسار وهو تودو - بخد حكومة في
رقة وصر من صدمها ورده هذه السبب مع تودو لا تقى عليها

أمام الناحية الفرنسية فقد تمكن الأمل من الفرار والساسة
 تدركه أنهم توهموا أن لديهم القوة الكافية للدفع عن الامبراطورية
 اذا هوجمت وحشدوا وحداتهم البحرية في شمال افريقيا أملا في
 الخروج إلى السلم بالسيادة على البحر وحدود المستعمرات كما كانت
 قبل الحرب. كما يتجهون، به إذا لزم الأمر أن يصلوا انتصحية
 عند إقرار السلم مع ألمانيا فذكر انتصحية من الأراضي الأوروبية
 إذا صمموا المحافظة على وحدة أملاكهم الإفريقية التي هي المدى
 الحيوي التاريخي للشعب الفرنسي وهو في ملهم من مقطعات أسبان.
 ومن العريب أن هذا الأمل الألماني وهو لم يطق الفرنسي
 ترك شمال إفريقية في حالة سهلت للحلفاء احتلالها، واتحادها جرفها
 جمع قواتهم التي زحف إلى قب ور، فكان أن ساهمت الامراضورية
 الفرنسية في تحرير اور، في تحرير العالم والمكن كصفة منعة
 من الأرض استعملت كسرح بحوث واعداء كتي بقعة من
 بقاء الشرق الادنى.

١١ - الحلفاء يسيطرون على أملاك فرنسا ثم يعيدها إليها

تمرق السور الفولادي لأول مرة عند دخول الحلفاء وقوتهم
 أراضى شمال افريقية فرأى اهل مراکش وتونس والجزائر حثود
 من عناصر اخرى غير فرنسية ولابد منهم لمسوا وعانوا اشياء
 جديدة ولسكن البلاد التي حصعت لسنوات عديدة لأعمال العنف

والشريد كانت تتمخص بالاممات حريه ووثيقه شامله ولم تكن حجة
احياء احد من هذه وعلى اعمام ولا ان لهذه شعوب من اشخصه
والنرجح ما يخدمها نحن وبغير رسة اني تخيلها للعلم وحيات
حده احياء هذه الارض اساسا للعلم وكانت مقرر من ان
وعرف الناس جميعا ان ارض تونس وجزائرها اكن اصحاب
وزيعة من يد حياء وقد اعيت له من عدل تعهد رجا طارلوروس
ان سير هذه الامم في ركب الحياء والحيوة وتقدير الحياء
كغيره من بقاع الدنيا اني سكتها لاسان لا الحياء

(١) عود في الواو - عصر حياء هذه كلمة لاستمرار اسماء
مظهر حياء عرض في مشروع الاتحاد الفرنسي ومن يتفق معه في
صيحته ويقول

ان الحياء من يمدد هو ان يوفق فرنسا في اقاص العالم
ان الاتحاد الفرنسي هو مشروع يمدد يدعو الى رفع مستوى
شعوب الامم اطورية وعتيده تحقيقا لما وعدوا به وروفت في
اجتماع من استاءوا به من حياء وان على لاجتماعي كما عهدوا
وكن مكره لاتحاد قديمة وسعد من الحياء في اخره الاحير من
هذا الحدث ويريى بالاحطرك كبره انصوير وانها ضرورة موجهة
لاستقلال الشعوب وحياتها ومستعبا وانهم احطرو طعنة يوحها
الاستعمار الكوني في افريقيا موطن الشعوب المظلومة .

(١) تلك الامم في حوان الاحيرة وحدث ماكد نخشاء

لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذي يفرض نفسه فرضاً عليها ، ولذلك لا تليث أن تكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية . حينها تتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريةها ، إذ تقولنا هذه الأنظمة في ثوب قوات جمعية (١) مسيحية (٢) لا تمنح لنفسهم حريةهم وحقوقهم في تقرير مصيرهم . من نحن لنحكم وسيطرة والاستغلال الاقتصادي شكاً حديداً رافقاً لا تتركه إلا لواهملين . والاتحاد الفرنسي يحاول بقوة شريع ضم أراضي شمال أفريقيا وسكانها ، وهم أكثر من ثمانين مليوناً ، فلهذا يطمحون وشيئاً منهم وشخصيتهم ، دون أن يسمح لهم ، أو رأى في هذا الاتحاد . والاتحاد السوفييتي ضم أكثر من أربعين مليوناً من المسلمين الآسيويين لا يسمح لهم صوت . ولا يسمح لهم بالانفصال من العالم الخارجي . والاتحاد الهندي يحد بكون دولته أكبر كسب الإسلاميين ويحاول لفناء عديها وإمادته الاقليات الإسلامية أو تصديدها .

٣- ولا يمكن للعرب في إفريقيا والمسيحيين في آسيا قبول وتوسع من الأوصاع يجعل منهم أقلية في بقعة من بقاع الأرض . لأن تجارب الماضي كانت شديدة الوقع عليهم ولذلك فهم لا يستمرون للأقدار أن تتحكم فيها مرة أخرى ثم هـ أصحاب محدودياتهم وصوله على

هـ. مكوك الأرضى ، وهو نار مخ حافل بآباء العراق والكعاج
والبحر والهريرة ، وهو فى قوته وورده وأثره لا يمكن أن يمار به
شيء أى أنه من أهم الأرضى ماء لا كعب فى الحضرة . وقد
أتى عليه هذا المصطفى دى ما لا يمكن أن يسه ، فمن قد
ولما ملا من العرب فى أسبانيا وحرارة صقلية ، وسردييا ،
وكنات ، وماطه كالم سرداجو هذا البلاد وسوسوها . ثم
رأب أنهم وأدخوا إلى فى حسبات وأبيات أخرى ،
ولأن دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم وهذا ملا من
الذين كانوا أساءة فى العرب ، ورواها ، والتمس ، وأن هم اليوم ؟
إسم يوم أن أصبحوا أديبه أديبه الظفر والاسوداد .

و- وهذا لكل اتحاد مرضى عروبة على أفتت الحرب وشعوه
عربية ويخرب منهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية عربية بعينية
تستهدف هذه العروبة والإسلام ، وتؤوى أمد بمصر والشعوب
العربية فى مراكن ووس وحرار ، وسعدهم كمودعة فى ما يخ
علم . ولد وحى على كل فرد من أن يهوى عن حقيقته ، وأن
شعر بالأخطار التى تهدده هذه ناحية ، وأن يحشد كل مالهينا
من أبوى الروحية والعمية يتوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع
أنه ليس فى ما نحن معسر الأمم الإسلامية والعربية أن يعنى

(١) كثر هذا قل كنهه فليسبب أن لا نعد لها غير كنهه لأنه من

هذه الهبة من الأرض فتذهب ربحاً إلى الرب من الأولى .
 هـ سرور عرس في عرس المتقين لمصعب لا سحر اهرسي ،
 ولست أحره عن لاجلهم العز ، وكشفا عن إبلان
 هربا كولة حكمة وفاء إلى عرس الأحرار حور كيت
 اهرت ، وسمن به عرس يول أمه به ، نورق به به ، وكيت
 للعرس ، ما يحول بعينه اهرسي ، من مال وسط هراهم ، ويهد
 أن ظهر للعرس ، مقصود كرمي به ، أن ربح احسان محروده أمام
 القاري ، حتى يكون على به ، قور حصر ، وما مدحله به عرس
 ووعيد ، عرس من عرس ، عرس أن بحره لا سحر
 تستبرم بوقوف على أمانه ، ولأمان عرسه ، وأن يكون الحاصبة
 ههنا كات وعرسه ومع ههنا ، وسنن لقمع تحول
 أن عرس هذه لسياسة في قات ربحه ، مقن ويصل به ، فعلى الذين
 يصوروا أنفسهم للحد من ربح عرسه ، هم لأهول الحصر ، وأن
 يروصوا أنفسهم على الحفظ ، وإن كانت مرة ليسى لهم نكحة في
 مارسموه لأفهمهم ، صا دشهم من أهدي .

٦ - والدول لا يمكن أن لا تعيد ما عثره لأعدائهم ولا تسلّمه
وإن لم يكن المنصب إلى أن أوبها كل صغير وكبير عدا، وهي لا تموت
أن تنزل عن أملاكها ومسعمرات أو شرط في حق من حقوقها

ألا نأخذ من تبرعه الشعوب منها. وهذه الشعوب في تقديمها
نحو الوعي الموعى واليقظة تؤمن في أن تشبع الحقائق حتى لا تذهب
جهوده وصحاباها هباءً من داهي ترومها. فتمسك محمداً وأن تبر
في طريق لتحرر وإخلاصه. وأن تخرج من كها على ضوء العلم
ومصنع زكوة. في مصابها من المتصددين لحد كمال عائد في يثاوا
أنفسهم لنبياهم. ولا يكون من البراعة والنجاة والبراس.
ويعتد ببول الأسماء والكشف عن نواصيها ومراهمها.
والوقت موقوف حارس على حبه وهذه الشعوب من موقف
المسقط مدافع عنها أمام الخصم العالمي.

٧- وقت زلزال المصطفى من الكتب الأخيرة. يتحدثون
عن أعمى الرجل الأبيض وممن يهتبه الشعوب بحكومة.
فماثوا به يحمل عنه ثم زهر فذذهده. موت نحو الحاصرة
والسدم. وفي عصر موت أصغر كسب أوربا على دولة آل عثمان
أسم رحل أوربا المريض. فمن كان يستمر بعد مئة سنوات
تتمد أحول السكون. وأن تسمح ذكوصح ممدونة. فإلا
الامر اضورية العرسية هي رحل مرضى الذي حتى الرسول مرضه
وفاته. وإذا من أعمى الرجل الأبيض عملاً في الحكومات
الاجوسكسوية. بطاير وأمر كاحيه امر طارية مريضة في

حالة اربع والمخاضه على وحدتها ، وأحيانا محتلتها على حساب
حرية الأمم المعطوبة على أمرها .

٨ - إن الأسلحة والاعدات الحربية التي تسببها من هذه الدول لم
تستعملها في فعل الألمان ، وبحرير بلاد مهم ، وانما رجحت الى
صدور لشعوب المصاومة في مد-شر والهند الصينية ، وهذا القتاد
سيستعمل يوما ضد أمم العروبة في المغرب فما الثمن الذي قصه
الرجل الأبيض ؟ أهو تحطيم السور القبلادى حول المستعمرات
امام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها اسواقا تجارية له ؟ وما
الذى كسفت وراء الأثم الخزون أكسفت اشد الدائم للسيطرة وأن
تمر العمليات والصفقات بطريق باريس ، بدلا من أن تتجه رأسا
الى أراضي المستعمرات وهل في سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض
ببقاء فرنسا مدة أخرى في شمال إفريقيا محتفظا لنفسه بحق الرجوع
مرة ثانية اليها اما لتحريرها أو لمساعدة في تهديتها
هذا ما سنكتشفه لآ الايام في المستقبل القريب .

٩ - في الوقت اننى كان جال فينى يفصلون فيه الذبحيه بأراض
من فرنسا ، محطه على وحدة املاكهم الافريقية كان لفرنسيون
الأحرار يفكرون بعكيرا استعمارييا من نوع آخر ، فقد عقدوا
قبل نهاية الحرب مؤتمرالهم في مدينة راراميل بالبرصيه ، جمع عددا

من حكام المستعمرات تبادلوا لرأى فيما بينهم ، واتخذوا قرارات بشأن سياسته ، لمستقبل . بعد أن استعرضوا مسائل هامة :

مما العمل على رفاهية سكان الوصيين ، ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم لذكورة والإجتماعية ، وعرضوا المسائل التعديم ، وأثر الدين ، وتوزيع السلطة ، ثم بحثوا مسائل احكام الدائى ، والإدارة المباشرة ، وغير المباشرة . واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الأمم براطورية ، وليسر بها فى طريق الإنحداف فرنسى

١٠ - وهذه القرارات هى التى بقوها معهم إلى الجزائر ، وأدجوها فى مشروع الدستور الجديد . فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاسمارى واتياته وأهدافه ومراهيه .

ان فرنسا تعرف جيداً مستحق الاستعمار والمعاره الافريقية بما يشعل بالمدانة هيئة الأمم المتحدة الامر ونز من أن الاستثمارية لا تكافح عن املاكها بانه كنان والذال واللاح ليعطى بالعقل والمنطق والعلم انما يجب ان تظن الى مؤتمر برارافيل على انه محاولة فرنسية لابقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها كامة غير متقدمة .

القسم الرابع :

فكرة الاتحاد تواجه المصاعب

١ - فكرة الاتحاد الفرنسي و ١٩٠٤ ، عن عها حبرين هانوتو بقوله :
وحدة لامباضية ، وحدة اقتصادية والتشريع والعدل ، وحدة
السياسة ، ولا اذ حرية ، ليست بضع وثلاث ، ومع وسكن
فيها الميراثية ، في الوحدة الفرنسية ، وتتميز بأفكارها على
الأمم المعروفة ، وأثرها في محرس الفرنسيين وسرعته ، فاعلموا في أوضاعهم

٢ - حبرين هانوتو من كمال حال فرنسا ، ظهرت مراد وشخصيته
في أعينهم ، وكما به وأفوائه ، فهد هو يفرق في حسن وأكله من ساس
كذلك كثير آ عن تاريخ فرنسا وأخبارها ، وعرف الناس ما يعرفوا
١٩٠٤ ، وكسب عن تاريخ الأمم المصرية ، وأشرف على إخراج كتاب
على الأسلوب الذي يروق له ، وبتشريع ، وهو دج داتم الانتاج
ثم يترك عملا من أعمال الحق ، لا كسب فيه ، ولا نشاطا إلا حال

فيه وصال . كان من أولئك الذين يعملون بالمثل اللاتيني القائل (١) :

Homo sum Humani Nil a me alienum puto

(إني بشر ويحبل إلى أن لأشياء فيها يتعلق بالإنسان عريب عى .)

وكان من الطبيعي والضروري أن يلمت الاسمه الفرنسي أنظار الشيع ولذلك كتب فيه وأطال وهو القائل في كتاب له عنوانه (من أجل الأمر طوريه الفرنسيه)

هل ترعب فرنسا أن تحيا حياة الأمم الغنية الماهضة ، أم ستلحق ميرها من الأمم لفانية التي ذهب ريحها ؟

هل ستبقى كما فئت بربطه ؟ وهل تسع قرطاجنه وتلقى مصيرها ؟ إذا عاشت فرنسا بمعضنها وقوتها وأحاديها وهذا مالا شك فيه (هذا قوله هو) فلتكن محبة بشاؤها وفكرها وعقربها إلى مستعمراتها .

هناك نرى شخصيتها الخالقة المدعة وتمو علائقها مع تلك العائلة التي جمعتها حولها . عائلة المستعمرات العربية .

(١) من أطرف مارك مفكره العربى هذا الذى قال الخيد بن محمد الخيد
أرعد المعروف ، أخرج الله أى أساس غساً وحمل لهم إلى سبلا الاوهل
لى فيه حظاً ونصيباً

كانت صبيحة ويرايجا قدوف بهما هذا الشيخ الغاني فتتقمهما
رجال الاستعمار قال هذه الكلمة بعد أن أمضى السنين يدرس
ويبحث ويقيد ويسجل .

وحظر هانوتو أنه رجل من رجال الفكر والدهاء . يجمع بين
البحث والعلم والفلسفة ينظر للاستعمار نظرة التحلل الطاغية الذي
لا تنطرق الرحمة إلى قلبه

كان هانوتو داهيه من دهاة الفرنسيين تيس روحه وأبعاسه في
كل جهة ، دون أن تظهر شخصيته ، فهو من أولئك الذين يصنعون
الخطط بلادهم مدى سنوات بعيدة ، ويرسمون حكوماتهم براح
السير مع الأمم التي نكبت بالاستعمار ، وهو مش من كثير غيره ،
ولكن لسكثرة مقارنات عنه أرائي في حل إذا وصغته في صف
دورين السوير البريطاني في اسطاسول وملتر صاحب المشروع
المشهور وكلاهما من دهاة الاستعمار البريطاني الذين وضعوا الخطط
الطويلة المدى لبلادهم . ولا نزال نحن بمصر نحاهد للحروح من
طبق تقرير دورين من الشؤون لدسورية ونسكافح للحروح من
دائرة ملتر في الناحية السياسية .

ولا تعجب من تقرير ذلك . فإن لاستعمار الأوربي في نكساته
ومصائبه لا يعد شذائ نجاح مقدرته على التطور ، وأنظهور بألوان

مختلفة ، وهو أكثر شأنا إنساني فقام به البشر منذ الخليفة إلى اليوم
من هو دعمه المدنية الحالية ومظاهر قهرها وموقها . بل لا يبالغ
إذا قلنا مظاهر العنف ومستوى الخيال الرقائقي لدى جماعات من الأوربيين
سوف تنهار . أو تهبط شمسك الروابط من بلادهم والمستعمرات ،
ولذلك نجد لدول الأوربية اليوم أشد عداوة الروابط من أي عهد
مضى . ونرى أنها تتجه أن تسام الحركات القائمة وتساها وتخصع
لبعض مطالبها ، حتى تحتفظ بها من سيطره على هذه الشعوب .
وهذا الإلحاح هو أخطر ، بواجه الأمر الإسلامية الشائنة
لأنها لن تقابل على الاستعمار إلا إذا فهمنا نوع من لعمل
الإنساني ، ومن حصل إلى الخروج عن منهجه لا إذا مثل الله لنا
من أنفسنا حالا أقو ، أشد ، بهمون عدو لا بههم وقوتهم
وهم من المعكر والمضاد في الحروب المتكررة من تقاسم حاشيات
نحن فيها ، إلى حافة قرب من سحق وفعول . أو تكون أقرب
إليهما من الحانه التي يعيش فيهم يوم .
وأعود إلى هاتو قول : بهمد لا يكون أول من يادى ففكرة
الاتحاد الفرنسي ، بهم يكون ، شعيرة من قدمه بسعة وسكنى أعجب به
من ناحية أنه من فلاسفة ومفكرين الاستعمار . لدى لمساوا تقدم
الدنيا ، وهو لما قد تأتى به الأيام . فتقدموا بآراء ومشاريع وأفكار
لم تكن بعيدة عن الحقيقة .

ثم هو مع دهنه وعكره واصيرته لم تشعل مظاهر الدنيا وانشر
وحب البقود كما شمه حب بلاده ، ورعته في ههنا نسجكم على ربوع
المستعمرات وفي رقاب أهله . وهو حسيما نكب وينشر راءه وسنومه
لا يهده شخصه . ويرى يؤمن بشيء واحد هو بقاء سيطرة فرنسا
على مستعمراتها .

فهو يعلم أن راء الجماعات موقوف على الأنظمة التي ترتبط
وهذه يجب أن يوضع على نسس صلاحه قوية ، وإن الأنظمة هي
روح الجماعات بقدر صلاحها تصح جماعه . وإذا فسدت أفعال
كبار الجماعه .

ولذا فالأمر اضروري في عصر ههنا كاش حتى يجب أن يعيش
وينمو ، وإن قوته مستمدة من الأنظمة التي ترتبط المستعمرات
بالوطن الأم ، وإن الأنظمة الحكم يجب أن تتطور مع الزمن حتى
لا يعتورها ويصيبها انحود وهو علة اجتماعات والداء امصال الذي
يصيب الأمر اضطرابات ويعصى عليها . كما قصي على ملك رومها
وينزطه وغيرهما .

فهذه الفلسفه الاستعمارية لم تقف عند حد الطرييات ، بل
أخذت تتخلق في العلاقات بين اسولة الحاكه والأمم لمعلومة وتتجدد
طريق التجربة والاستقراء في مختلف اسواحي .

وحقيقة النعام هي أن البيطرد الأول به - واه أكانت فرسية
أو غيرها سادت انعام وشعوبه ، واحتل المكان الأول وفرضت
إرادتها أيما حدث إلا في اتجاه التي ساد بها الإسلام ، فهناك واجهت
المصاعب واضطرت أن تدير عن حذر ، وعن قدر ، ولذلك تلقى
الإسلام والعرب أكبر الصعوبات في التاريخ ، وفي سبيل هدمه أعطى
ذلك اللون اوراقاً مبهيات لقدمه ، إلى عرضت في مصر وبابن
وشور وهارسين ، وهذا يفسر لما هاجم هانوتو وغيره على العرب
وضعه على ما يحتمل ووصفه للإسلام بأنه عدو للعالم والحضارة .

لأن الخديعة يوحد تليها وخصوعاً وهذا ما م في روح
أفريقية السوداء ، أما حيث ساد الإسلام فقد وقف المسلمون
يقارعون الإستعمار وحملاً لوجه وعن حطر الدعوة المحمدية ماثلاً
أهم المستعمرين ، وبذلك كثر أعداؤنا لأنا أقوى ، وناقوى يحق
أعداء نفسه ، ومن هؤلاء حريال هوثر الذي تولى يوماً الإمام
محمد عبده دفعه عن الإسلام في كتاب له مشهور ومواقف مشهورة .

ويذكر في هذا ما قرأته في مقدمه كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء
لدى كتبه أن أركو الأساقوف يقف العلماء الإسلامى في مواجهة
أوروبا، رعاه من أملاء الدول المختلفة والقومات الحديثة يقاوم

شدة وعنف وعناد معسداً عن وحدته الدينية وصعته انماية التي تعطي حر كانه مطهر ا سمر دى عثره)

وعلى هذا رسمت احصاء لاستبعاد الاسلام امكن من المناطق التي قد سود فيها وفي هذه اناحة بالذات ظهرت قرارا لمؤتمر برافين ، تتفق مع قرارات حكومة السودان بشأن التصديق على حرية العبادة ، ومنع تعبد الاسلام في افريقية الوسطى ، وهذا مما يجعل الاسلام فضيه - وف معرض له وما تعرضها على الصمير العالمى ولم تكن فرنسا بحاجة إلى إعلان لاتحاد الفرنسي والدعوة إليه ، لو كان الأمر معلماً ، المستعمرات الإفريقية وحدها أما والأمر متعلق بشمال افريقية حيث سود الاسلام لذلك قامت أهمها بالعقبات وحشدت القوات للعب عليه .

وقد كان من أسير الأمور عليها فرص الثقافة واللغة والدين والاسماء الفرنسية وإيهام الخنود السود " أن أباهم من بلاد العال وإهم فرنسيون دما وروحاً وفيهم من يصدق ويتحسس لذلك . اما والاسلام والعروبة بالمرصاد ، هنا يبدو الاتحاد مترددا يسير خطوات وثيده ويستثير بأراء هابتو وغره ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب الاسلام وسياسة الخلفاء :

(أصبح للإسلام سيامتان : واحدة استعمارية تتعلق بالمستعمرة

(١) كسب شاويس سقوى - الحش عرسى موصوت تاريخه عدل ٥ يافى من سكان ارض ١٩٠٤

وأخرى عالمية تسعه وتلاحقه في مشارق الأرض ومغاربها ، وهما يلتقيان في ناحية واحدة وهي ابعاد الأخطار ما أمكن تلك الأخطار التي يسببها للدول الأوروبية وجود ملايين من المسلمين على الأرض يمثلون في أفرقية خطرا لا يستهان به ، نظرا لارتدادهم عاما بعد عام في القرون الماضية فقدت فرنسا مستعمراتها ، لأن البحر كان فاصلا والمسافات بعيدة ، و اليوم نحاول فرنسا فرض إرادتها على قطار شاسعة ، فادا الاسلام أبعد عورا من البحار والمحيطات ، وهي لم تقدر عليه ، لأنه من نور الله ولذلك سسير شعوب الحرائر وتوس ومراكش نحو التحرر والخلاص ، دعم لمصاعب التي تقيمها فرنسا وحكوماتها المختلفة ، واتحادها ووحشتها ، لاسها شعوب اسلامية عربية قوية لاتلين .

وها قد استعصت فرنسا انواع لاستعمار المختلفة ، وبدأ لها الاستعمار السوفييتي الروسي بوجع حلاب ، وحيل اليها أنه قد قصي نهائيا على نفود لاسلام في روع اسيا لوسطى ، وفي هذا خطأ كبير ، فأرادت أن تستعين بأساليبه في هذه الناحية وفي بعض النواحي الأخرى ، ولذلك ترعب أن تؤسس اتحادها على شكل يشبه اتحاد روسيا .

[وسنعرض بعض قليل للاتحادين في أول الفصل التالي .

القسم الخامس

ما بين الاتحادين الفرنسي والسوفييتي من تشابه

ما كنت أعتقد حيناً كنت لكلمة اثنتان عن الاستعمار
الفرنسي والتي أشرت فيها إلى ثلاث هيئات اتحادية تقف أمام الأمم
الاسلامية وحررتها أن تقرر المتناقضات بهذه السرعة فقد وضعت
الاتحاد الهندوكي بجوار الاتحاد الفرنسي والاتحاد السوفييتي وقت
عها أن كلامها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية يصعبها بصعوبة
التحرر، ويريد أن يقع النصير العالمي أن الاتحاد هو وبيد إرادته
شعبية، وأنه من مصلحة الأمم والشعوب الداخلة فيه، ويعلم القارئون
بأمر كل اتحاد منها أن هذا بعد عن الحقيقة بعداً تاماً، ولذلك سيكون
كفاح الأمم الاسلامية في طريق الاستقلال والتخلص من هذه
السيطرة الاتحادية المفروضة عليهم شديداً في الهند والمغرب،
قاسياً جداً في أواسط آسيا، ولسكني مؤمن وواثق بأننا ستعلب

لا لأن الحق معنا وكفى ، بل لأن قوايين الكون الملازمة لطبيعة الأشياء وتجارب التاريخ معاً ، وسند قوت الطغيان التي يستعد المستبدون أو يحولون ذلك ماء فتوراً ، وتندك صروح بيت على نصل لسان .

ومن قبيل هذه الثورة الثمينة على العرقية التي جادت بأن السديت هرو ويحمر الأمر العربي ويقول (إننا لا نعترف باستقلال أية دولة تقام في الهند وسنعتبر لاعتراض من أي دونه أحقية الاستقلال عملاً لا ينطوي على الصداقة)

وفي بعض ماورد ، خرائط المصرة مقبلاً عنوانه (الباكستان حبر

أمشر) ويقول كما أن استقلال الهند في احدى معارض مع العالمية التي هي من مظاهر ككون ونحن لا نعارض هذه العالمية ، ولكن نرفض استقلال كبلاد إسلامية كشرط أساسي لمعاون الاقليمي ثم التمدد العالمي ولا تعرضت اخذت لاسلامية له والوصاعت شخصيتها وانهد كيانها .

وأعود إلى قرب وامر طوريتها وما تنويه من فرض الاتحاد على الشعوب العربية والإسلامية بعد أن رأيا رجال امكر يسبقون التاريخ في هذه الساحة ورسقون خطط السيطرة والغلبة ، فقد ذكرنا فيما تقدم إشارة عن مؤتمر - رافيل الاستعماري الذي عقد بأفريقية عام ١٩٤٤ وجمع أساطين الاستعمار ودعائه ، واستعرض

(١) انتهت أزمة الهند بالاعتراف بسلطان الباكستان ، ولكن الولايات التي نزعته منها قد جعلت كباكستان صمداً والمقبل محققاً بالأحطار .

برامج المستقن ، وأشار بتأكيد سياسته الاتحاد بين فرنسا ، وما تملكه من الأراضي الواسعة في افريقية وآسيا وصرح ، في كلمة واحدة ، وبمبدأ أن تمتنع المسائل العامة التي دارت المناقشات حولها ، فقد برزت هناك فكرتان : فكرة تعاون ، وفكرة الادماج ، ولكل من الفكرتين أنصار وخصوم .

ومعنى التعاون إعطاء الأمم أو الاقاليم شذا من الحرية والحكم الذاتي بالتدريج ، ثم دعوتها إلى لتعاون مع الدولة صاحبة سيادة في نطاق اقتصادي ، كما هو الحال في بعض المستعمرات البريطانية ، ومعنى الادماج أن تعرض على الشعوب المحكومة أنواع من الارهاب والترغيب ، تنهى إلى إيجاد شعور بقول : أن مصلحة المجموع أن يندمج مع الأمة الحاكمة في جنسيه واحده .

ويقول خصوم التعاون إنه في النهاية يؤدي مع الزمن إلى حياة الدومنيون ، الاستقلالية ، وهذا لا يتفق مع المنطق الفرنسي الذي يميل إلى المركزية ، ولا يسلح تنويع السلطات لانه في النهاية يعرض النكيمان لامراطوري إلى الابد .

ويقول مستقدو الادماج ، اذا سرنا خطوات كبيرة في سبيل ذلك ونكلم خمسون مليوناً لغت واخذوا ثقافتنا ودخلوا مجالنا السياسية ، وحصلوا على حقوق المواطنين ، وضعنا مستقلاً بين أيدينا نحن أجانب من

شعوب مبنية مستحقة ، وقد تعميرا موحدا عسكريا وثورية لا تقدر على كبحها . أو قد تتحالف هذه العناصر مع عوامل هذه الفرنسية وتعمل مع حزاب " اليسار " تعرض ااداتها - حيثما وقعت ارمام من الأيدي الفرنسية - رشيده اعاقه ، وتعرض حياض الأمة إلى احتظار حسنه

حرج مؤتمر برار اقل إلى الاحد عل وسط . يجمع بين التعاون والادماج ، سياسة لتعدي سبب على إدماج الشعوب في الثقافة الفرنسية . إذن يجب أن تشدد هذه السياسة التعهيدية ، و أن تكون هدفها اصناف البعثات افريقية ، وخصوصا تلكه العربية وفي المستعمرات الافريقية بمرور مع انتشار المسيحي للبعثات افريقية ، وجعل تدرس فواعد الدين الكاثوليكي بالبعثات الفرنسية .

ولن أصيل على العاري . مرد فيه القرارات . فهي مطبوعة . واد ما دايهما من أمر التمدد ، وطريقة انتخاب المجالس العامة بالمستعمرات ، وزيادة سلطه الحكام ، والتصديق على الميراثيات واقروص - مادمت تسطره المركزي لوزير المستعمرات قائمه . اد كانت سياسة المؤتمر ترمي إلى اكد سياسة الفرنسية وثبتت الرأي الهامى للحايات الأوربيه في مسائل المستعمرة . وجعل السكلمة العليا للسكولوب الفرنسي ، اعترافه مثلا الأمة خاكمة صاحبة الأمر والنهي والسياده .

والسياسة التعليمية اتجهت اتجاها إدماعيا ، مسترشدة بالطغمة الروسية ، التي مستعنت بالمدرسة على إحراج حيل من الناس ، تؤمن بالثورة وتعانيها كذلك المعلم الفرنسي من واحد أن يفرص لفته ، ليحرج طائفة تفكر تفكيراً فرنسياً ، وتطوق دسان فرنسا ، وتؤمن بمطامير وأهمية الحصول على الحصة الفرنسية والإلفة حار بأن الفرد الأسود هو فرنسي أسود وأن اللون لا يمنع منه من سلالة الجنس سكان فرنسا الأصليين وهذا مهنية ما يصل إليه الغرور الاستعماري .

وسكن سائر الإدماع تواجد شعوب إسلامية ، والإسلام والعروبة في غير الاستعمار كانوا يصعب مواجنته ، ويستعصى التخلص منه ، فهو راسخ في عقول ملايين من الناس ، وهو كالنار تحت الرماد . وقد أمضى الاستعمار مع الإسلام عشرات السنين وكذا حين إلى المستعمرين أسبق قصوا على مشكاة وتعجبوا عليه بررت لهم الأدلة على أهم ما أروا بعيدين عن زمن انقضاء على حيواته ، وأهم مع ما أروا من قوة البطش وسعة السلطان أغمر من أن يكسوا أمامة الحركة النهائية وأقول "فصل" .

من هنا فكرت فرنسا في إيجاد مركز دائم للشئون الإسلامية بمدينة الجزائر ، وأطلقت على هذه الإدارة وزارة تسيق الشئون

الاسلامية، ولنلاحظ أن الاصطلاح المرسى بغير المسلمين كطائفة
 مهما كان عددهم كسرا. أى أن هؤلاء الناس لا يكونون أمه من
 الأمم، وليس هم وطن ولا رايطة مع الأرض التي يعيشون عليها.
 هم رعايا المسلمين، وهم مسلمون وكفى، وهذا رأيهم وهو
 رأى خطير فى نظرى.

وتولى هذا المصب فى اجرائه صديقا الخيال كايرو وهو لدى
 عرفه فى سوريا وسن مديو، ساميا، ولمنا فى شخصه اجتماع
 انماذ والسياسى معا، ويرى على أنه صاحب عريته ودهه، وفكره
 ومقدرة، وهو يتطهر أنه صديق لإسلام المسلمين، وإياه يعطف
 على أمانيهم مشروعه، وأنه يدفع بطمئنتهم، وهو يمشى فى الوقت الحاضر
 فرنسا بموسكو عاصمه سوفيت، فت دائم من رحلته من ياكاتا، و
 وإمامه، وهمه لشئون الدنيا، ودرأته عن كل الاستعمار لا يترك
 نوقت يمر أمامه من غير أن يشعله بحث شوق الاسلام فى
 روسيا. نعم قد يكون احتياجه كسفير لبلاده من قبل الاتحاد
 'سياسى فى وقت ترفض العقيدة الفرنسية وضع لعسكريين فى الصف
 الأول، ولكن كآزوله من لدور أياه وشخصه، وللاتحاد السوفيتى
 سياسة مرسومة تجاه المسلمين حقيقة أن الناس قما يتعرضون
 لها ولكن أعين الاستعمار لا تعمل عنها لأن روسيا فى توسعها،

و، دشار بقودها واجهت المسلمين كما واجهت فرنسا الاسلام من قبل ومن بعد.

ولكن تحارب روسيا مع المسلمين غير تحارب فرنسا. فالأخيرة كانت تحب تحت سلطان الحروب انصبه وتقيدها ولا تزال إلى اليوم، وهي حروب اشتراك فيها غيرها من الشعوب، وكانت نهايتها محرقة، لأن لسبوف التي انتصرت هي لسبوف المسلمين، ومع هذا فقد انكبت المدرسة الخريفية، وتعص من الميراثم افراسة مصحرة للشعب ودوافع لبعض والجهاد ضد المسلمين.

أما روسيا فقد عاشت هروباً بحكومة المسلمين ولاقتهم شدة وعنتا وبين المسيحية ابريقية والمسلمين عراك طويلاً ولم تبدأ حملات روسيا ضد الاراضي التي يملكها المسلمون إلا في عهد كاترين الثانية، إذ دخلت أهدايم إسلامية كبيرة تحت حكمها، وكانت أساليب الحكم الروسية سهلة وصحة. دبح المسلمين، وتشتيتهم، أو تركهم إذا قتلوا الدحول في المسيحية. ولقد دخل ملايين مسلم في الخفية والديانة ومن بنى محضها ديانة سرا أعلن إسلامه بعد ثوب في ١٩٠٥ و ١٩١٧.

(١) كانت أوروبا الأولى ضد حجاب قارن وسار موحداً للحد من سيطرة المسلمين الذين كانت لهم اليد على الأيدي الروسية

ولما اتسع ملك لروس في آسيا الوسطى وقف قفاسيا أحدوا يفكرون في إيجاد سياسة إسلامية ، وأحدوا يقلدون الدول الاستعمارية العربية ، ولكن ثورة البلاشفة قصت على القيصرية ، وأعدت حقوق شعوب وحرية ، وسمحت للمسلمين بإقامة شعائرهم الدينية بعد أن كانوا محرومين منها في بعض المناطق ثم عادت فأعدت الحرب على الأديين كلها ، وكان من الطبيعي أن يجارب الإسلام كغيره ، وهو قوة عالمية نورية ، شأنه شأن الحركة الشيوعية إذ يحمل كل منهما لواء العالمية ، وتعني فيه القوميات والعنصريات والطبقات ، فالشيوعية تحاول دائما انقلب على الإسلام في الجهات التي ساد فيها وفدا في هذا المصارع أسبابها الخاصة التي جاءت نتيجة للتجارب التي بدأها المين في سياسته لتعارب مع الأمم لعلوه في ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ثم انتهت إلى تحصيل جمهوريات الوطية ، وفرص الأنظمة الشيوعية والدخول في سياسة اتحادية ، تخصص أراضي السوفييت كلها سلطة موسكو لمباشرة . ي افسد حرية الشعوب الإسلامية . سواء في آسيا أو قفاسيا أو القرم

وكان أن واجه الشيوعيون مشكلة حكم امبراطورية استعمارية تحت نظام جمهوري اشتراكي ، وحطوا في السنوات الماضية خطوات جبيرة في طريق الاستقلال واستثمروا أراضي البلاد الإسلامية باسم جديد ، وأنظمة جديدة ، وهرنسا من ناحيتها بحكم ملايين من الشعوب

الموتة، والامم الاسلامية . وتحاول أن تحتفظ بسيادة الجمهورية المركزية على أقاليم شاسعة فهما تتفقان في معالجته مشاكل متشابهة تلحق عندهما واحد، هو المحافظة على وحدة امبراطورية استعمارية استعمارية بأي ثمن.

وإذا سرنا في الممارسة من ناحية الداخلية نجد أن فرنسا تحكم بلادها شخصيه أو شبه سيادة مثل مراکش، وتونس، وبعض أقاليم الهند الصينية، ولديها صانع يحكمها أمراء وسلاطين باوريقيه أما الاتحاد السوفييتي فبعد أن حطم تلك بحار وحواردم^(١)، وحكم الاقطاعيين الذين عاشوا تحت ظلال اعيصرة عافاشاً جمهوريات ذات سيادة اسمية في أفريجان وتركمان وركستان وتاجيكستان والفرغير، واعطى لأقاليم أخرى نظام الحكم الذاتي مثل الداغستان وشكيريا وغيرها.

وهذه الأقاليم التي عددها إسلاميه، وأنها مسلمون ومعظم أقاليم الامبراطورية الفرنسية أو أهمها من بلاد الاسلام ويسكنها المسلمون، ولذلك يحلو لرجال فرنسا أن يقولوا عن بلادهم : إنها دولة اسلامية كبرى، والسوفييتون كانوا لا يقرون الأديان فاهم مع ذلك على اتفاق مع الاستعمار الفرنسي، في مواجهة المسألة

(١) إمارة حيوة في عصر القيصرية اروس

الإسلامية : باعتبارها معضلة تتطلب الحلول ، ولها مشاكلها وماعها ومضاعفاتها ، ولذلك تحتاج إلى دراسة وبحث ، ولهذا سياسة خاصة بها . أى أن للإسلام سياسة مرسومة في كل من روسيا وفرنسا ترمى كل منهما إلى أهداف مختلفة ، ولكنهما متفقين في نهاية واحدة هي إضعاف الإسلام وتقويض أركانه والجيلولة دون قيامه بدور تاريخي وكلاهما يسير على نهج الإدماج ، ويقصد به صهر القوميات في كتلة واحدة ، ولكن الاتحاد يسير على نمط خاص به فهو يفرض اللغة الروسية ، مع الفكرة الاشتراكية ، والفلسفة الماركسية ، ويقدمها في قالب واحد . وسار في هذا أسواقا حتى في الجمهوريات المسيحية ، لأن حكومة الاتحاد قررت تشييت مجلس السوفييت المحلي في بلاد السكرج (جورجيا) لأنه عارض سياسة الاتحاد ، وقرر التمسك باللغة القومية ، وجعل لها المقام الأول في التعليم ولروسية المقام الثاني ، ثم يتفق مع سياسة الفرنسية في إحياء لغات اندثرت ، وثقافات اندرست ، حين يهاجم الوحدة الإسلامية في آسيا الوسطى ، باسم العلم والتأنيج والثقافة ^(١) المحلية ويشبه هذا النشاط سياسة فرنسا في التفرقة بين العرب والبربر

(١) من أكبر وسائل بحارة عمومية عربية والإسلام تشجيع استعمال اللغة العامية في الأدب والصحف والإعلام

حتى تظهر ثغافات متباينة في كل رقعة ، ويفقد الاسلام تلك الوحدة التي اشتهر بها وعرفت عنه .

لهذا وغيره يبدو الاتحاد السوفيتي في أنظمته وكيانه كوحدة استعمارية ، تسيطر على أقطار المسلمين ، وتعرض عليهم حكما خاصا كما مودح صالح لمرسا ، يصحح أن يتحدث في أشياء . والعرضيون أدكياء وأهل منطق يعرفون تماما أن الأنظمة والسياسات لا تبنى الممالك ، وإنما القوة المدافعة هي التي تحميها . والقوة المدافعة في أراضي السوفييت هي الحرب الشيوعي . الذي يستند على قوته الثورية ، وأنه حزب عمالي ترتكز عليه الدولة وتخضع لمشيئته ويسيرها كما يشاء .

ولا تملك فرنسا هذه القوة المتصفة بالبطش والفتك ، إذ هي لا تزال تأخذ بأنظمة السياسات الديمقراطية ، وتعدد الأحزاب في الحكم . وهناك مسائل أخرى تفتقر عن السوفييت فيها . أهمها أنها تحترم الملكية الفردية . وتشجع الشركات والأفراد في تولي الإنتاج الزراعي والصناعي ، بينما الاتحاد السوفيتي لا يعترف بالملكية للفرد ، وإنما يأخذ بالاشتراكية ، ويجعل حق الملكية للدولة ، أو يعترف بالملكية التعاونية . وقد يلتقي النظامان فيما يخص الملكية أراضي بعض المستعمرات . إذ يحرم التشريع الفرنسي على الأهالي

في بعض المستعمرات ملكية الأرض ويسمح بها لشركات الاستثمار
والاستثماريين البيض، ولا يعرف مقدار حظ المسكين في المزارع التعاونية
بالروسيا، فقد يكون بأكملها في أيدي الروس، وهي لا تختلف
إذن عن شركات الاستثمار الكبرى في المستعمرات الفرنسية
ولكن الثابت لدي هو أن الأهالي المسكين محرومون من حق الملكية في
جمهورياتهم إذن كأهل المستعمرات الفرنسية السود في هذه الحالة
ولم يكن تطبيق اسطدم الاشتراكي أو انعكاس لصالحهم بل لتقوية
الجيالات الروسية وزيادة افقارهم وصرع الدولة والاملاق عليهم
بعد تحطيم الثورات التي قاموا بها^(١)

هذه بطرات أولية تمكن من فهم بعض ميعال له موارد،
وبعض ما يلتقي النظامان للاستعمار، فيه من بواحي، ولا يقدم
جديداً حيثما يتعلق الأمر بالنظام، إنه هي الأسس التي يقوم عليها
الاتحاد، وفرنسا تدير لغوا في الاتحادات في الاتحاد السوفييتي،
ولكنها تعجب من النظام كدعامة للوحدة، ولديستور السوفييتي يقول:
أن الدولة اتحادية تقوم على أساس لاتحاد الاختياري بين
الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية مساوية في الحقوق.

وهذا نص مشجع لأن توحيدهم في نظامها الجديد خصوصاً
وأن معنى الاختيار غير معلوم لدى الروس.

(١) لايسع هذا البحث شرح هذا اسطدم في اتحاد بلاد السوفييت

إد لا يدكر العالم أن إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى
جاءت إلى الاتحاد ، وانصمت إليه باختيارها ، وإعانت دخلات
الاتحاد بعد معارك دموية وقتال استمر طويلا . ولذلك لن يكون
هناك اختيار في الاتحاد اهرسى كما قلنا

وينص الدستور لسوفييتى على حق تقرير المصير ، ويعترف
لكل جمهورية بأنها ذات سيادة . ولكنه يقيد هذا المبدأ ١٤ من
الدستور نفسه ، وفيها كل ما يهدم شخصية واستقلال وسيادة
الجمهوريات المنقول عنها بأنها مستقلة وذات سيادة . وهذا لنص
يجعل حق تقرير المصير غير موجود ، ولذلك سراه في دستور
الاتحاد اهرسى وستتمسك به كل دولة اتحاديه حينما ترى في
السيطرة والتحكم في مصير الأمم الاسلاميه .

ومن المفيد أن نعرض هذه المادة مع بعض التفصيل يستيقظ
الغافلون عصر . وهذه المادة تجمع طائفة من الامور الهامة الخوية
لكل شعب مما هو سياسى وعسكرى وقصادى ، ومنها ما هو
ثقافى وتشريعى فاذا بحثت عن الباقي من سيادة جمهوريات الاتحاد
المستقلة وجدته مخذلا بحيث لا يصح أن يقارن بالسيادة التي تتمتع
بها أية ولاية داخل نظام الولايات المتحدة الأمريكيه ، هذا سبنا
أن حكومة الاتحاد ترى أن من حقها عقد المعاهدات ، وحصر

التنكيل السياسى فيها وتلم قضايا السلم والحرب ، وتنظيم الدفاع وقادة القوات المسلحة ، وحماية سلامة الدولة المستقلة . فان هذه ابداء تصيب أسياها أخرى تجعل النشاط الاقتصادى بأكمله خارج نطاق عمل الجمهورية المستقلة وهذا يصح لاستقلال وهما ولا فائدة منه إذ تنحصر المشاريع الصناعية والزراعية وإدارة المصارف ووسائل النقل والمخبرات ، ونظام النقد والأمين ، وعقد الفروض وكل ما يتعلق باستثمار الاراضى واستثمار العائدات ، ومساقط المياه فى يد حكومة الاتحاد .

وعلاوة على ذلك يلب من الجمهوريات سلطتها على كل شئون التعليم والثقافة ، ويسبها حقها فى النشر مع المداخلى الصرف ، إذ تنق سلطه حكومة الاتحاد هى العليا فى كل مبادئ المعارف والصحة ويحصص المحاكم والقوانين من مرنه وغيرها حتى قانون الجنسية وإقامة الأجانب وتنقلاتهم لحكومة الاتحاد هذه مع قرار الاتحاد بأن لكل جمهورية دستورها الخاص بها وهناتراً حكومة السوفيت بالعالم حينها تقرب :

أن لكل دولة من جمهوريات المسقية مطلق الحرية فى أن تنفصل عن الاتحاد السوفيتى .

ومن قبيل تخصيص الحاصل أن يقرر الدستور السوفيتى أنه فى

حالة التعارض بين القانون الخاص أية جمهورية مسقلة والقانون الاتحادى وجب على الحكومة المسقطة سفيد قانون الاتحاد ولا توجد هيئة عليا كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية للفصل فى تنازع الاختصاص أو تفسير الدستور .

من هذا نضم ولع الرئيسى بالاتحادية وأنهم بعد أن قلوا أنظمة الاستعمار وأساليبه من أمريكية وبريطانية وبرتغالية وهولندية وجدوها لا تنطبق عليهم ، ووجدوا مع اختلاف الأهداف فى نظام الاتحاد السوفى ما يصح الأحديه ، والسير عليه لإذفيه تأكيد لسيطرتهم وإلغاء حكمهم

ولذلك لم نخطئ النظر حينما جاهرنا بأن الأنظمة الاتحادية الرئيسية والتي فى بلادنا سوفيت وما يتحول بحاضر من الهندوس من إنشاء دولة اتحادية والعصاء على حرية المسلمين بالهند نرى كلها إلى فرض أنظمة وأسس رجعية تعسفية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، لأنها تعطى الاستغلال الانصاى والسيطرة والتحكم ثوبا جديدا

القسم السادس

فرنسا في مراکش

بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحى على مراحل في
مراكش، فقد نقت إلينا الأساء البرقية طرفا من أخبارهم : وهى
تتلخص فى بعض تعبيرات إدارية ادخلوها درا للرماد فى العيون
فقالو إن الوزارة ستألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة
من الفرنسيين ، واختير مستشار فرنسى يبحث القوايين واللوائح قبل
عرضها على السلطان ، وصرح فرنسى مسئول بأن فرنسا تريد تحويل
مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة ، كما ترعب بإحلاص فى زيادة
مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم ، وههده نواح جديدة
بالبحث والتأمل .

ولقد كتبنا أول من أداع شيئا عن اجتماع الدار البيضاء الذى
حضره رورفلت وجيرو وديجول الفرنسيين ، وقلنا : إن أراضى
تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة بيد الخلفاء ، وقد أعيدت

للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لـ"ريفيت" أن تسير هذه القاع في ركب الحضارة نحو الحرية، وتقرير المصير. وشيء من هذا لم يحدث ولكن تحت ستار الإصلاحات الجديدة، وتحويل مراكش إلى دولة حديثة، وزيادة مسؤولية المراكشيين في حكم أنفسهم. تقدم فرنسا للعالم المتحمدين مشروعا استعماريا، لا يحظو به لأنه صرية جديدة موجهة إلى استقلال مراكش، وحريتها ومستقبلها ولذلك لم يستعرب أن رهص الأحرار المراكشيون هذه السياسة وسدوا بها، وقالوا عنها أنها تريد أن نعتصب النقية الراقية من مطاهر وحوادثهم، ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل الحلفاء جنودهم، وأصبوا طويلا إلى أقوال قواد الحلفاء، وبعض رجال السياسة، الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد، وعرفوا الكثير من تحمس رجال فرنسا، وتمسكهم بوحدة امبراطوريتهم، ورهصهم الدحول في أى حدث يتصل بحرية واستقلال شعوب المغرب.

لم نتردد في أن نحبر بالقول لإحسان أهل المغرب^(١) أن الخطر الذي يبدو لنا هو أن توفق فرنسا لا قناعات العالم أن سياسة الاتحاد الفرنسي مشروع إنساني، يدعو إلى رفع مستوى الشعوب، وبعد

(١) جاية القسم الثاني.

تنفيذه تحقيقا لما وعدوا به وورثت في اجتماع الدار البيضاء ، أو أنه مرحلة في طريق الرقي الاجتماعي .

ومر اكش ليست دولة في محال الدار حتى تدرب على حكم نفسها ، وقد عاصرت القرون ، وكانت اتحادها ويطوانها مصرب الأمثال ، فهي دولة مستقلة ذات سيادة وصولا وتاريخ ، شخصية ، قيل أن تعرف فرنسا شيئا من ذلك وهي أمة موحدة فمن أن تحقق فرنسا وحدتها الإقليمية في قارة أوروبا ، ولاخواننا المراكشيين جولا في افريقية ، وفي القارة الأوربية . وبين منوك مراكش ومنوك فرنسا مكاتب ومعاهدات فديعة ، عامل فيها كل واحد لآخر معاملة البدل للبد

هذا كله دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم في سياسة المقيم العام ، التي يريد أن يصرحها على دولة قائمة ذات سيادة وشخصية دوية ، وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضي بعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، شتأ من أساسيتهم وعقدتهم ، ومر اكش بلاد لم تفتح وإنما تعاهد سلطانها معهم ، وحالهم على شروط معلومة فاداهم يتزعجون البلاد انزعاء ويصبح المقيم العام سلطانا غير متوج له حكومة تجمع السلطات كلها بين يديه : من تنفيذ وتشريع وقضاء ، ويسيطر رجاله على الشئون

المالية والاقتصادية والإشائية ، وصنع يدعى الخوس والأوقاف
وينتزع أملاك الدولة ، فيوزعها على المستعمرين من العربيين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل صرحت سائر المواثيق والعهود ،
التي أحدثتها الدول عليها عرص الخائط ، فهي لم تحترم ما جاء باتفاق
الحريرة سنة ١٩٠٧ ولا ما جاء بالاتفاقات التي أعقبت حادث أعادير ،
المشهور ، وكلها نص على احترام سيادة سلطان مراکش ووحدة
بلاده ، ونفاثها بلادا مفتوحة لتجارة الدول ، ومبددا للذشاط العالمي .
وقد رأينا الأسلوب العربي في حكم البلاد التي تكس به ينتزع
السلطات جميعا من أيدي الحكام الوطنيين ، فنصح الحكومة
المراكشية التي يطلق عليها اسم (المحزن) صوره لانتك من الأمر
شيئا ، وإذا ندر المقيم العام يدها السلطات الفعلية وهو يتولاها بواسطة
مستشاريه ، على الطريقة الفرنسية المباشرة ، التي رأيناها في سورية
ولسان أيام الانتداب .

تصور هذه الدار تتولى الأمن العام ، واحمارك ، وانصراحت
وتدير الأوقاف تفتح المدارس ، وتعلق الكتائب ، ويدها التشريع
والبرق والبريد وتسيطر على النقد ، ووسائل المواصلات ، وتمح
الأراضي لمن تشاء ، وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار

هذه هي مناطق الامم العام ، أى التى يسود فيها الحكم المدينى
أما المناطق العسكرية فهى محصص للحروب الخشن ، وصداقه
اسياسيين ، فهناك يجمع أعداء الفرنسى كل السلطات فى يده ، ولا
مرد حكمه . إذ يمكن إرادته أربع الأملاك . وتسيب حكم الاعدام
والسجن ، واحلاء قري ، نكها من السكان ، ولا يمكن مراعاة
حكمه ، أو الاعتراض عليه ، أمام سلطة مدينة ، وأهالى البلاد من
المسلمين خيارى بن برائن الاستعمار الفرنسى فى مراكن أدهم فى حالة
حرب منذ عام ١٩١٢ لا يسمع عن كاهن صوب الاحكام مرمية
ولا يشعرون بأراحة يوما . نجد أولادهم للحروب ، ويرسل
شبابهم الى المعتقلات والسجون

نقد أن نعام المتمدن أن يفهم حقيقة الحال فى إفريقيا الشمالية
وحسن افعال المجاهدين المراكشيين فى المبادرة إلى أمريكا ، وعريف
العالم قصيتهم ، لأنها قضية عادلة ، فهم ان يقولوا أن يدحنوا اتحادا
فرنسيا يفرض عليهم فرضا ، وقد شرحا أسالنه ومراميه وأهدافه
ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم أحيالا من الرمن
لاتزان فى عالم العيب أو المستقل

إن كفاح أهل مراكن سبكون طويلا وصعبا لاهوا دة فيه ، لأن
بلادهم موطن الثروة المعدنية ، وأبها تنجحه أقطار الاستعمار الفرنسى
للحصول على المواد الخام من الحديد والفحم والحديد وهذا الاستعمار

يفرط كما قلنا في ولايت من فرنسا في أوروبا ولا يتارل عن شمال إفريقيا وهو يعلم تماما أن أى تساهل أو اعتراف من جانبنا باستقلاله ، أو حكم ذاتي يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه : انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها في إفريقية الشامية .

فعلى الذين يتصدرون الحركة الإستقلالية في مراكش أن يفهموا أن العراك سيكون شديدا وقاسيا ، وعليهم أن يكسبوا معركة الخارجيه ، وهى معركة الدعاية لعصيتهم في امريكا ، وفي بقية انحاء العالم ، عليهم أن يظهر مساوىء الاسعير وأصاليه ، وأن يجملوا الدعاية قائمة في كل مكان ، وأن يثارت اشات والرسوخ واهدوء والمداومة .

في مصر لا تكفى شعور اساس . انصتف على انصيتهم ، بل يأت إبراره كل يوم في ثوب حديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل يريد أن يسمع رأيهم وصوتهم ويرى ماطر بلادهم ومساجدها وأسوقها ، ويقرأ ذناباتهم ورعائهم كل يوم ويود أن يشاركتهم أفراسهم وآرائهم ، ونسمع أعائهم ونرتن شعرهم ، وتظهر على مطبوعاتهم صور معاهدم ورحاضهم ومظاهر الحياة عندهم .

إننا في حاجة إلى أن نعرف على أهل المغرب جميعا لانتا في في مصر نعد أنفسنا أقرب أهل المشرق إليهم

لقد تلاقى الفوس قبل اليوم . وارتبطنا بهم روابط لا تنقسم
عراها . إن في مصر أسراً بأكمها تنحدر من تلك الأصول العربية
التي جاءت من أرض المغرب .
إننا لا تطأش نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل
على حريته .

القسم السابع

الاعتداء على الجزائر

« ياويلاه إن المصائب والنكبات وامتحان الدهر ليست
وحدها العائق الذي يعترضنا في الحياة بل إن أعمالنا وجهودنا ^(١)
نفسها كثيراً ما تكون حرجاً علينا .
« فلوست »

ليذكر العرب جميعاً والعالم الاسلامي وسائر أمم الأرض أن
فرسا اعتدت بلا مبرر بل بسفك إصرار وترص على حرية الأمة
الجزائرية وكان ذلك بغير إعلان حرب ، ولا إخطار للدولة
صاحبة السيادة ، وإنما جمع وحشدت الجيود وأتتاتها في يوم ١٩
يولييه سنة ١٨٣٠ عند الصباح في مرمى سيدي فرج حيث أسحبت
قوات والى الجزائر من الشرق القائم ، حقاً للدعاء ، وإثباتاً للتهدي
أمام طوفان الفرق ، التي جاءت من فرسا بمدافعها واعتادها الحرق .
هذا اليوم يجب أن يبقى خالداً في ذكريات كل فرد منا مهما كانت

(١) يرجع ضعف لأمم الاسلامية الى فقدان رجال والسعة دوى الصبرة
الناطقة والاعلاص الدائم .

ثقاته ، ومهما كانت آماله . ولاهل الجزائر أن يرفعوا أيديهم
بالاحتجاج على هذا العدوان ، وإن تنصت السموات العلاء إليهم ،
وتستمع الأرض ومن عليها لشكواهم ولاهمهم .

وليُتحد أبناء العروبة هذا يوم حداد . يقفون دقائق معدودة
تحية للمجاهدين والمقاتلين . الذين جادوا بأرواحهم ، دفاعاً عن حريات
الأمة الجزائرية ، في كفاحها الطويل وجهادها . وليبق هذا اليوم
الأسود قائماً . نشأ حتى يصفح الله عن شعبه وأرضه ، ويرد إليهم حقهم
وإلى أن تعود الحياة . " رأى الشعب الجزائري على الثرى الذي
حمل مجاده والذي هو له وحده .

كان هذا الاحتلال كعبه كبرى على العروبة والإسلام . لا
للحوادث التي تمحصر عنها من صباح إستقلال تونس ومراكش ،
ولا لحوادث الكفاح والقتال ولصدام التي دامت سنوات عديدة ،
ولألمة آثاره من المعارك والمقاتل والأيام المشهورة وإنما كان محبة
إرأ ما تبيته العالم من صمت المسلمين وجهودهم وتفرق كلمتهم . لقد
كشفنا هذا العدوان المرسى أمام الدنيا وشعوبها ، كنا قوة نخشأها
أحداث الزمن ، فإذا نحن لا شيء . كان العالم يحسب ألف حساب
للروح التي تعيصر حماسة وقوه ورفعه . تلك الروح التي أفرعتها تعاليم
الإسلام على الأفراد وأحماة والشعوب ، فإذا هذه الروح

كلا وجودها إنها قد ماتت ولم بعد لها مقام ولم تقم لها قائمة ، ولهذا حمل أهل الجرائر عبء القاتل وحدهم وكان عبأ ثقيلا عليهم . حقاً إنهم ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما صعفوا وما استكانوا ولكن للطاقة البشرية حداً . إنهم دافعوا دفاع المستميت حتى ألقوا في النهاية أسلحتهم .

هذه ناحية جديدة بالبحث والتحقيق نقول ماذا هي العالم الاسلامي وأهله ؟ ماذا أصاب هذه الشعوب التي عهدناها في التاريخ راحة على الأخطار تتلقاها بصدور ملاءها الايمان — لا تلين يوم ترجف الراجعة ولا تخضع ولا تستأمن وإنما تقوم بالأحداث وتقعدها أين ذهبت تلك الحيوية التي كانت تنبع الرادفة بالرادفة ، وتبرز مرئياً أهلها الدنيا وتواجه بصدور أهلها طوفان الحوادث ، فتعلو عليه ، والبصر من كل جانب يواتيها .

ولقد افتتحت هذا الفصل بحملة من فاوست ، قالها جوته الشاعر الالماني ، وهي تلخص حال المسلمين في افتتاح القرن الماضي إذ كانت قد حفت منذ سنوات وقرون أصوات المعارك الزاحفة وانهدت صروح الممالك القوية . وتفككت عرا الدنيا الاسلامية حينما اطلت طلوع القرن التاسع عشر علينا ، فأصبحت المدن التي كانت عامرة أنقاضاً ، وهبط عدد المسلمين في مصر وفارس وسوريا

والعرب ، وضعف شأن المسلمين في كل جانب ، ومنذ ابتداء القرن الثامن عشر لم يبق لهم إلا دولة آل عثمان ، التي وصلت جحافلها الى فيينا مرتين ، ثم إدا هي تواجه أهجمات المتتالية في حجة البلقان والمجر ، وتدافع ببطولة واستماتة ثم كان بوسعه أن يحترق حجب العيب قبل وقوع هذا الحدث الاعظم ثلاثة قرون ، ويخامر المسلمين بأن مصائب القرن التاسع عشر وأرداه كانت نتيجة للأخطاء ، التي ارتكبتها أسلافهم بحروبهم وسياستهم وتفرق كلمتهم

لم يبق من شك أن الحروب التي شها سليم الأول على مصر وإيران أضعفت الكيان الاسلامي ، كفهوه فعالة . ولا سي إلا حللنا على ضوء المطلق الاسباب التي دفعته اليها ، فقد كانت مشاكله مع الدولتين من الأمور التي كان بوسعه حسمها ، دون أن يتورط في معارك مع دول اسلامية هي بطبيعتها حليفة له . فكان من أثر حروبه أن زالت من الوجود دولة مصر ، التي كسبت الحروب الصيدية في مواجهة أوروبا ، وذهب بذلك مصخرة لها .

إن الصربية التي وجهت إلى مصر في سنة ٩٢٣ هـ كانت صربية ضد العروبة والاسلام . إدد كان من أثرها أن انهار ركز من دعائم دينا المسلمين . كان له المعام الأول في الدفاع عن أراضيهم وصد أعدائهم . وسرعان ما ظهرت للعيان صدحه هذا الررم حينما يخص

نصف قرن حتى أععب ذلك هبوط سريع في عدد السكان، وتقصير في العمران الذي كان قائما بأراضي مصر وانشام . من إن أثر الفتح العثماني كان شديدا حتى على الحركة العقلية والأدبية التي كانت سائدة بمدرسة القاهرة، ودمشق، فلم يعد سماع بمصر عن رجال من أمثال ابن خلدون والسيوطي والمقريري وغيرهم من أئمة الدين والفقه والشريعة . ثم انظر إلى أثر هذا العدوان ضد بلاد الاسلام في العقلية الأدبية نفسها . هذه جمهورية الهندية استمرت في علاقات حسنة مع مملكة مصر طول القرون الوسطى ، وإليك إذا ذهبت إلى هذه المدينة ودرت قصر الدرجات تجد في إحدى قاعات العرش رسما كبيرا يمثل سفراء ايران ، بين يدي عاهل الهندية . إن هذه الصورة توحى بأشياء كثيرة . فان هذه الجمهورية بعد زوال مصر أحدثت تباحث عن حلواء لها من بين المسلمين

والمعروف أن دوق لهندية كان عدوا للأتراك العثمانيين ، وهو يصنع في مواجهه العالم اعترازه تتحالفه مع أعداء الدول العثمانية من المسلمين ، وليس أبلىع للدلالة على تفرق كلمة المسلمين وتشاخصهم بعد حروب سليم الأول من هذه الصورة القائمة حتى اليوم درسا وعبرة لمن يريد أن يعتبر .

وما يقال عن إيران ينصب على سلطنة مراكش ، فهي قد

عاشت أكثر من ثلاثة قرون في شبه عربة مدية، ويجه لسياسة العامة التي وصعها سليم والتي أراد أن يعرض بها سيادة الخاقان الأعظم على البلاد المسلمين وممالكهم، وهي سياسة لم تكن تسمح بإيجاد علاقات واضحة صريحة مع دولة مراکش المسقية، ولم يكن من بينها سوى توالي النحر وانكباب وتخصير الظروف وتوضه الأحوال الملائمة لذلك الهجوم المرسى. الذي تمس في الاعتداء على العطر الجزائري الشهيد.

قارن هذه السياسة لمسية على الدعوة في السيطرة العامة والخصوع لسلطان الخلافة مع المروية التي أظهرها ملوك مصر، اشتداء من من الملك اطاهاير يبرس مع حارب السار وانغله الذهبية وأصحاب عروش العملاق في روسيا، حدد لهم نقلوا هذه البلاد من الوانية إلى الإسلام.

أما السياسة العثمانية فلم تسجح. مع أنها كانت قريبة منهم، لأنها جاءت ملوك هذه الدماح، وقصات ورض نوع من الوحدة والسيادة عليهم، وكان هذا لا في عتقهم بل قوتهم؛ ورفضوا الادغان لسلطين آل عثمان، وكانت دولة الخلافة في إبان مجدها وقتوها فتمسكت بسياستها. وبعد قرنين صعب الجبابان، ودخل حانات القرم طوعا تحت كعب السلطان الأعظم، بدد في عاقر من

حمايتهم ، وإدا بانقوى تتجمع ضد الدولة العثمانية وكان أول من
جاهر بالعصيان جماعات الموارق ، الذين حصعوا لها ، واستأمد
حكام موسكو ، وقصحا مدعهم وحصوعهم لملوك المسلمين
اناطره وقياصرة . وكانت قلاع العثمان ، من على نهر الدنيبر في شمالي
رومانيا وفي وسط بلاد بحر كاسية لصدم حورج أورو ، محجمة ، ولكن مادا
تفعل الجحافل العثمانية وقد مددت الحجة شرانا ، وظهر عدد جديد هو
روسيا التي أحدثت نكتمع الإمارات الإسلامية حتى وصلت إلى
شواشيء البحر الأسود ، الذي عرفته القرون بحيرة إسلامية .

لقد ظهرت لعميان أحطه ، فرب من ، من لأن حتماء الدولة
العثمانية الطبيعيين هم سكان مروج المسية ، وأمر ماقره ، وهم الذين كل
بوسعهم دفع اشرايات فوسهم ، وكان المطلق والعدد والملاحوه تمى
تقوية هذه الامارات وتشجيعها ، بدلا من مباواتها . فإذا هي أول
صحانا برحمت المسكون وإذا بالحجة العثمانية تهاى سرعة ، وإذا
بمجمود اسلطنة واحلافة يصرف من يوم حصار فيا إلى عهد حمة
١٨١٢ في ضد الهجمات المصاده التي شنتها أورمانيا إذا وفقت
في صدها عاجلها الدب الروسى الأسوى ، متعينا من كانوا
حنفاءها . لقد كانت محنة كبرى ولكها من صنع أيدينا قبل أن
تكون من عمل أعدائنا ، والويل لنا إذا تكررت مرة أخرى .

فمن كان من حرج على سلاطين آل عثمان لو اتبعوا أساليب
وسياسة سلاطين القاهرة في علاقتهم مع ملى الفولجا والقرم ،
لقد أثبتت الأيام أن ميوت مصر كانوا أعدى بظراً ، وأكثر اساءة .
وبذلك لم تنكس الدولة بعناية كثيراً في سياستها الإسلامية
وحاء اتساع رقعة أراضيها فلم يتمكنها من أن تصير دولة متماسكة قوية
ومع خدماتها الحلى للإسلام حاء وقت كانت هي وحدها الدولة
الإسلامية التى تتلقى لخدمات أى بوحها أعداء للإسلام وخصومه
إلى نعمة . وفى عمرت هذه الحائة حاءت حملة فرنسا على القطر
الحرارى ، فإذا القوى معثرة ، ولا يندى معلومة ، وأراضى المسلمين
الشاسعة خالية من السكان .

بذكر هـ وسكره إراء الصيحات التى سمعها نكو الوحدة ،
وتأليف دولة موحدة إسلامية . ونحن نادر إلى القول بأن
المتناقضات التى أورنتها لنا الأصماغ والخر رات ، والعقد العسية
فلنحدر من لوقوع فى أحضاء السيف لأن هذه الأخطاء قد تكون
أكثر وبالاً عينا من المصائب ولكبات التى يدرها الأعداء لنا .

وكلة هادئة سوفها هناهى أساس من دعاة حرية الشعوب
لإسلامية . وسكن مع الإمراغ فى الأحد عديده اقرن لعشرين ،
ومع لعمد على نقل لشعوب إلى وعى قومى صحيح . مى على العلم

والنور وفهم الخلق ونشأت بها ، بحيث لا يمكن التأثير عليها
وقيادتها إلى أعمال تحسن من المبدأ الحاضر ، وينتهي إلى مكبات (١)
ويح تصعب من شأن المسلمين ، وعلى ضوء تحارب الماصي ودروسه
القاسية تبنى وتؤسس دعائم المصالح وحل طلاب حربه وتقرير
مصير واستغلال ، كل شعب داخل نطاق حدوده القومية والتاريخية
ولسنا من أنصار الفكر العثماني أي رأب أثرها بعد ثلاثة قرون
مثلة في صياح شمال أفريقيا ، وربما ندعوى أن تفسر علاقات جديدة
بين اوحداث العربية والإسلامية بعد على ضوء حارب مع ازمن
نحو التحالف والسكاف والسعوى ، حتى يعد العمران ونشأ
المواصلات ، ونحصى الانقاص وحرمان وتحطم أعلال الجهن التي
أورثتها لنا أجيال عشا فيها تحت كنف الاستعمار والاستعباد .
هذه ناحية هامة أعدها من ذكرى احتلال الخرائر ، وما
لمسناه من حمود آية فكره علما للدفاع عن هذا القطر الشهيد ،
فلننظر من ناحية أخرى لهذا الحدث الكبير في تاريخنا ، لنعرف
الدوافع الكامنة وأثرها .

لقد رأينا جيوش المسلمين تسير لتحرير العالم ، حتى إذا انتهت
إلى أسبانيا عبرت جبال البرانس ، ودخلت فرنسا بقيادة عبدالرحمن
ابن عبد الله العافقي في سنة ٧٣٢ ميلادية

(١) كتب هذا قبل نكبة فلسطين .

وكانت انتصاراته سهلة على حكام البلاد فوصل رحمه إلى وادي
نهر اللوار ، ولكن في وسط الوديان الشاسعة بين بلدتي تور وبواتيه
حيث المروح الحصراء التقت جموع العرب لأول مرة جموع مع عنصر
أورني مقاتل هم الجرمان ، وعلى رأسهم شارل مارتل ، ودارت
رحى معركة كان عنها كتاب أورني : هي المعركة الفاصلة بين الإسلام
وأوروبا المسيحية على رعاية المتمدن ؟

ولم تكن هذه المعركة بين الإيملام والمسيحية لأن أغلب مقاتلة
الجرمان كانوا وثنيين ، ولكن الدعاية والرغبة في التهويل ولتفجيم
أسبعت على هذه المعركة ثوباً قصاصاً ، لأن سيجتها كانت انسحاب
العرب من وسط فرنسا إلى حال البرانس ، فقالوا هنا التقت أوروبا
وآسيا . وفي هذه المعركة هزمت قوى الإسلام ، ومن العرب
أن يذكر بعض المؤرخين أن بين من حارب في صفوف المسلمين
أمراء مسيحيين .

نقد شامت الروح الصليبية السائدة في أورني أن تجعل من معركة
تور وبواتيه ابتداء الهجوم المضاد على المسلمين ، لاني فرنسا وحدها
بل في إسبانيا ، واستمرت هذه الدعوة قائمة على الكراهية والافتاء
سائدة لمدة ثمانية قرون ، وهي تلاحق العرب ، حتى صفت المشكلة
الإسلامية في بحر من الدماء والمذابح في إسبانيا ، وعادر آحر ملوك
غرناطة ساحل الجزيرة الحصراء .

ولقد طرد المسلمون أو حيل إليهم أن نكباتهم قد اقتتت ،
وأن حجاجهم قد آن لها أن تستريح ، وكانوا في ذلك من الواهمين
لأنهم لم تعص ثلاثة قرون حتى لاحقتهم الحروب في عقر ديارهم ،
وقدفت فرنسا — التي حكمها العرب وفتحوا ديارها — بحملة قوامها
أربعة وثلاثون ألفاً من خيرة جنودها وأسطول عدته أربعة
سفينة ومائتين وعشرين مدفعاً تحرها الخيل .

وم نكر هذه أولى الحملات ، من تقدمتها محاولات أخرى ،
بقيت فيها مدينة الجزائر الكثير من عشقم ، وهدموا أحياء منها ،
وذكر التاريخ من هذه المحطات على مد السواحل الأفريقية كلها ،
حتى مدينة الإسكندرية ، وبيروت ، وسواحل الشام أصبحت في
عهد الدول العثمانية وقبلها في من هذا العدوان على أيدي
قراصنة الأوربيين

ومع ضعف المسلمين وهرق كلمتهم تمكن أهل المدن الساحلية
وهم أهل المتأخرة والرباط من رد هذه الحملات إلى البحر والمحافظة
على السواحل الإسلامية ، واسرجاع المناطق التي سيطر العدو
أحياناً عليها ، ومن هذه الانصارات السهلة هي التي جمعت أمراء
المماليك بمصر يستصرون شأن حملة نابليون . وجعلت أهل الجزائر
يستصرون شأن الحملة الفرنسية عليهم ، وكانوا في هذا من المحظنين

فدفعوا الثمن عالياً من منعمهم وموتهم ، وأصاعوا اسلاد من أسيرهم .
 وهذه الحقبة ، انقلب حلقاتها المحجوم المصاد لمعارك توربو اتييه
 إلى الشاطئ البحرى ، وبدأت حرب الحوب والقتاء ، تشها قوه تعتقد
 أنها تستعيد مجد روما على الرماة التي حملت أعلام روما القاسية ،
 وتستوحى في قتال اسلدين ذكريات الحروب الصليبية . ومعارك
 لويس التاسع في أفريقية وهكذا شام ولسان يعيش نحن معاصر
 العرب وأفريقية الشمالية في عماد المحجوم المصاد ، الذى دأه
 الجرمانى شارل مارى بل علف

ولم يكن هناك ما يبرر هذا العدوان فقد تقرأ الكثير مما ذكره
 أدورجون عن إهانة أولى حين باشا ليجرال دوفال Devai قصص
 فرنسا حينما قدم عليه لتهنئة بعيد لقطر سنة ١٢٢٣ هـ ، وما سبق
 هذا من التراجع على لديدون اتى ما طاب فرنسا في دفعها حكومة
 الجزائر . والدور الذى لعبه كل من يعقوب كوهين بكري ومينخايل
 أبورناك اليهوديين في هذه القضية ، وهل ترفع إلى مجلس الجزائر
 أو إلى محاكمة باريس لتجارية للفصل فيها ، ثم احتجاج القصص
 ومعادرتة اللاد ومن معه من لتجار الفرنسيين ، وما قيل من أن
 هذا الفصل تعمداً ليجادد الحادث توجه عبارده عبر لائمة نولى
 حينما طلب إليه إجابة صريحة من حكومته . فرد عليه أنه ليس من

عادة ملك فرنسا أن يكتب من هو دونه بعير واسطة ، فأثار بموله غضب الوالى .

إدما العائدة فى تعرف أسباب العدوان من القوى والضعيف والية مدته والاستعداد قائم ، ولم يكن إحتسار الجبرال يرأس القصلية وهو عسكري إلا توطئة وتحصيراً للأعمال الحربية القادمة .

ووقعت الواقعة فى التاسع عشر من يوبه سنة ١٨٣٠ ، إذ أقدمت فرنسا بعير إعلان حرب ، ولا إخطار لدولة صاحبة اليادة (١) أو إندار للوالى — وأزلب عما كرها فى مرسى سيدى فريج ، وهى بقعة غاية من الناس ، لانحرابها عبر قود صغيرة من الجنود فى برج قائم ، رأت أن تفسح بعير قتال ، حقناً للدماء أمام طولان المرق النارلة من الأسطول مدفعها وعتادها الحرقى

فلندكر جيداً هذا اليوم ولا تنسه لأنه يحمل ذكريات لعدوان الفرنسي على الأرض الأفريقية على ر الحرار والشهيد وبعد مائة عام أى فى ١٩ يوبه سنة ١٩٣٠ احتملت فرنسا هذا اليوم ، فأثارت بعملها حمية شريفة من الجزائر وإحرارهم ، وحرخوا من ديارهم يحاربون الممالك حتى لا يروا أعينهم فى ديارهم وأوطانهم ذل يوم يحتقن به العاصم ، ويرفع أعلامه على أنقاض الوطن الجريح ، والشعب لشيد يهيب جماعة مهم مدبته استاسول ، وذكر والى

مشاهد مما يغويه من عبث ، وما صارت إليه أوطاسه ومراجعته .
وهي اسلاد العريضة التي حملت أعلام المراتطين والموحدين ، وقبائل
المسلمين من العرب والبربر ، وكانت لهم السيادة والقيادة ، والحول
والقوة ، أيام كانت ترع أمام محادهم وعرائسهم حقائق المرءية ،
وتحشاهم الدنيا

وحاء منهم طريق إلى مصر فمضى أياماً ، من غير أن يسمع لهم
صوت أو آية ، ولما حاء الجموح كثرت أراجهم بوليس مصر وشرطة
الدون ، بحجة أن مصر لم تكن مذكورة على جارات مصر .
وصحكت من الأيم أي جعلت رأسه حرباً على مفيد تعليلات
حكومة الإستعمار الفرنسية متفتة ، ألا يدخل مصر العربية من هم
أقرب الشعوب إليها ، ولصمهم ، ومن يحملون تأشيرة مصرية
قارية ، ولا أدري من أين لفت الأنظار إليهم ، ومن حل بينهم
وبين مصر ، ومن أعطى التعليلات لأعادهم .

وارتجبت مدن الجزائر في بوبه سنة ١٨٣٠ ، وقامت لاقامة فيها
والولي يجمع جنده ويحشد ، ويرسل إلى البلاد والأقاليم يدعو
للمجاهد والدفاع ويطلب لجنده من وهران وقسنطينية ، وحررت
الجموع لها حمة معسكر الفرنسيين . فاقترحوا المراكرة لأهمية أمام
تراجع الجنود الفرنسية . حتى إذا صاروا تحت مرمى المدفعية

حصلتهم سيراها حصدا ، فاحات صفوفهم ، واحلوا الأماك التي
احتلوها ، وتعصم الفرنسيون ، وكانت هذه أول ملحمة على أرض
الجزائر في يوم ٢٥ يولية سنة ١٨٣٠

وكانت قوات والى الجزائر محتشدة داخل حصون في ناحية
أنى جارية ، فخرجت منها للقتال ، والتحمت مرة ثانية مع الفرنسيين
فلم تصر على البقاء وارتدت ، وأحلت هذا المعسكر ، واحتله العدو
ثم تقدموا منه ، واحتلوا باين المدينة وأصرافها ودمروا حصارها
وبعد أيام أحلوا في إطلاق بيران المدفعية ، فأصابت قذائفها
برج مولاي الحسن ، وكانت فيه مخزن البارود ، فأصابتها قذيفة ،
سببت انفجارا هائلا ، فاندك البرج عن من فيه ونظارت حجارته
وتهدمت عدة مارل ، ومات جنود كثير تحت الانقاض

وبهذه النائية اهترت أركان المدينة ، وفقدت روح المقاومة ،
واستولى الرعب واغلق على السكان ، فقرر الوالى تسليم المدينة

وفي صباح يوم ٦ يولية سنة ١٨٣٠ الموافق ١٣ محرم سنة
١٢٤٦ دخلت جيوش فرنسا من الباب الحديد ، وأنزلت الأعلام
العثمانية من القصة والأبراج ، ورفعوا الرايات العرسية ، واحتلت
الجود القصة والعلاع والشواطي . ورالت من الوحده حكومة
الجزائر الإسلامية .

وتم العدوان على الأرض التي امصت فرنسا السين تعلم بوضع اليد عليها بعد أن فقدت أملاكها في الهند وأمريكا وحزائر المحيطات ولم يرد في ذكر شروط الهدنة والسام نص على الاحتفاظ بحقوق الأهالي وتقرير مصيرهم سوى النص الاستعري الذي وضعه نابليون في مصر وهو : احترام الديانة المحمدية . وعدم التعرض لنساء المسلمين .

وهو النص الذي ما انك دعاه لاسمها يرددونه في كتهم وأبحاثهم وحطهم دايلا على روح اسامح ، ويقولون ماذا يريد المسلمون وقد تركنا لهم حرية الدين ، وحفظنا لهم أعراضهم ، كأن حياتهم وقف على هذا لا تعداد ، أو كأنهم أهل آحره لا تعلمهم أمور الدنيا ، فلا تهمهم العاجه ، ماداموا قد صحتوا الآجلة ، وأحدوا ، أيديهم معانج الحان .

ويقول مؤرخو المسلمين : اهترت لهذه النائية لمشارك والمعارب وكانت من أعظم النوائب ، والحقيقة أن العالم الإسلامي الذي عهدته يهتر لما يحدث في ركن منه لم يتحرك لهذه الكارثة ولا لما تلاها من سكسات ، وإنما تحرك القطر الحر اترى وحده . أمام العدون ، وقامت قائله ورجالها يدودون عن حياتهم . واضموا تحت لواء الأمير عبد القادر ، يكتبون بدماهم ملجمة من ملاحم الحروب

لفسقية في تاريخ الإسلام الذي واجه احفانق ، وقال : لقد تبيلت
ما قدر على وهابدا مستعد للآقدام

وسكن بعد مصى قرن من الزمن يقف أهل الحرائر مرة أخرى
للامتحان أمام مرسا ، ويرددون هذا القول ، لقد ترفوا وتبيوا
ما كتته لهم الآقدار ، فهل هم على عهد الآقدام قائمون ؟
هذا ما سفسره الأيام .

وسنرى في القسم التالي ما كان من هذه الوتة الخالدة

القسم الثامن

الامير عبد القادر الجزائري

رعيم وأمير وحدي وقائد ثورة

« إذا صقلت بارق سيفي »
« وأخذت بالقضاء يدي »
« رددت الانتقام على أعدائي »
« وفرصت القصاص عليهم »
شيد موسى النبي في
سفر الثانية

رأيت كيف تلقى العلم الإسلامي بحوم ابناء الاعتداء الفرنسي
على الجزائر ، وكيف احتلت مرسا السواحل والناس في شغل عن
هذا كائن الأمر لا يعنيهم ، فألقى عبد الجهاد على أهل الجزائر ،
يقاتلون ويقتلون ويشردون . والقطر الجزائري ساحل ممتد

الأطراف على مسافات شاسعة ، وأصبح لكل مدينة على البحر
جبهة قتال ، قائمة بذاتها .

ففي جهة مدينة الخرائر رحف القائد الفرنسي إلى الدخول ،
واحتل مدينة البليدة وقدم أهلها الطاعة بين يديه ، ولكن دعوة
الجهاد والدفاع عن الوطن انتشرت بين القسائل في الجبال
المحيطة ، فتجمعت الحووع ، ورحفت إلى القتال ، وفي اليوم الثالث
من احتلال المدينة اقتحمت قوات المجاهدين أسوار البليدة ،
وهرمت جنود فرنسا ، فاضطر القائد العام أن يسحب مع من بقي
من جنده عائدا إلى الخرائر ، حيث دعى إلى بلاده ، فأثر أن يعش
بأسبابها وجاء قائد آخر أحد يدبر الأمور ، لاتمام الاحتلال ، تارة
بالسيف وأخرى بالخدعة ، وبذل الوعود

في هذه الأثناء اتجهت الأنظار إلى سلطان مراكش ، واجتمع
أهل العقد والحل من سكان الجزء الغربي ، وأرسلوا وفداً إليه ،
يطلبون معونته ، فأجابهم إلى مفضلهم ، وبعث بأمر من أولاد عمه ،
ولقيه الناس بالطاعة ، ووصلت ضلأته إلى ناحيه مليايه شرقا ،
ولكن فرنسا أسرعت وكلفت عثم لدى البلاط لشريفي أن يحتج
على هذا التدخل ، فاضطر سلطان مراكش أن يسحب بجنوده ،
وأن يستدعي ابن عمه إليه ويترك أمر الجهاد لأهل البلاد .

كانت الدعوة إلى الجهاد عامة تشعر بها الناس كافة : من عرب وبربر ، ومن أهل الحضر ، وأهل الجبال والبادية ، وكانت الحرب في كل ناحية قائمة ولكر كانت نفص الدعوة العيادة المنظمة التي تجمع الشمل ، وتنظم الجهود ، وتحرك المشاعر ، وتدفع هذه القوى الروحية نحو العاية الكبرى .

واقف شأب العاية الإلهية أن يختار هذ القائد من حبه وهران على الحدود المراكشية ، وفي سنة ١٨٣٢ قامت سرية من المجاهدين عمد لواؤها للسيد عبد القادر بن ريان بحركة كشمية ، حول أرياص المدينة وفي موضع يقال له حلق اسطاح انتفت السرية بفصائل العدو واشتكت معها في معركة عرسية ، وفي اليوم لتالي أدركتها حشود المجاهدين فدخلت القتال متراسة راحمة ، فانتصرت انتصاراً باهراً وقر العدو منهزماً ، متراجعا إلى مدينة وهران

وفي وسط المعركة ظهرت بحايل النجاة والبطولة ، والقوة والفتوة على الشاب عبد القادر بن السيد محي الدين الذي ما أنزل مع والده يحرص المسلمين على الجهاد ، ويؤيى المقاتيل بمواعد للقتال كان في الخامسة والعشرين من عمره ، وقد عرف الناس فيه الحرم وأكرم والعقل السليم وانصر في القتال ، فخامت المعركة بإدانا شجاعة

وقوه البأس تطهران عليه . وهو يحترق الصفوف ويأثر القتال بيده ، انتصرة دين الله . وبينما هو يحوص وسط الممعة يحامل عليه فارس من فارس ورساير محه ، فإد بالطاعة تمر تحت إطفاء لايسر وشده عليه عند انقادر نعره وقوه ، وهوى نسيجه على الفارس ، فإدا بالياف يقطع كتف الفارس بصعين ، فكانت آية من آيات الله تدفعها الناس ، وسرى ذكرها بينهم . وتلقى جواده ثمانى طعنات ، ثم أصيب بالرصاص تحتة ، قتل وترحل واستمر يعاقل في مواجهة العدو ، وهو على قدمه ثباتاً في واقعه ، حتى جاء النصر من عند الله ، وتقهقر العدو منهزماً ، لا يلقى على شيء . وبات المسلمون يباهون في التهليل والتكبير .

هذه بداية القائد الشاب بطل الاستقلال الجزائري ، وصاحب المواهب الخالدة ، بين سنى ١٨٣٢ و ١٨٤٧ ، الذى تمثل في عبيرته عراة أمة وكفاح شعب يهان في سين مشه العليا والذى أمضى ستة عشر عاماً في الحروب لم يدع فيها المال والتصادم والكر والفر فاعاً عن حومة الدين ، وعن حرية الوطن الشهيد وطهرت فيها صفاته ومبراته للقيادة والزعامة . وصرب للناس مثلاً بتمسكه بالمبادئ والأهداف التى قام من أجلها ، فأصبح عليها عملاً مواصلاً لا يحد عنه ولا يرجع

وررت نفسه اقوية التي لا رهيبا لأهوال والسكت ، ولا تعيرها
الانتصارات المتعاقبة ، ولا تنقص من حماس السكك والمراثم .
سنة عشر عام من المعارك المواقفة . لا تتحسبها غير فترات
قصيره من السهم والراحه ، فمردها للتنظيم والإشياء ، والدعوة إلى
الله ، واحمل لئلا دولة ربه . لميت أعوذها عليه . أكملها ، إذ
واجه مشاكل السببه مع مضاعف احروب . وعالج المراثم
والدسائس بنفس عايه . وبها فوس من أخلاق السلف الصالح ،
وبها تلك اسواحي لمويه إلى أروعها الإسلام على قواده ورعمايه
من فوه أمام الأخطار ، وعلايه في الحق ، وبمسك بالعروة الوثقى
مع تواضع ، وصبر على المنكره ، وحوادث الزمن

كان هذا في وقت عصيب وحيث فيه احراز أكبر محنة في
تاريخها ، يوم دعيت وحدها للدمج عن أراضيها ، ويوم صعقت
النفوس ، وتفرقت القوى بين حزم مشايخه ، وفنائ متنافرة .
هنا ظهرت شخصيه عبد القادر كمشء نونه ، وقائد جيش
وزعيم أمة .

إن عطاه عبد القادر لاعظم في ابصاره وحدها ، واعماق
تعلبه على متاعه ، وفي شعاعه وسط المراثم ، ودعوه إلى
الاشفاق واحيائه وفي مداحيه دعاة اوبى وهزيمة وريرة

المنافقين ومن لا زمهم ، ها معلو حيوية عند انقاصه عن الحوادث
حيثما تراه مجاهداً ، لا يهتم عريمه وسط الأخطار ، ومكانه العدو
والبحر معلق أمامه ، والعالم الإسلامي يعطى في يومه ، فلا يخفف
عنه إلا ذكر الله ، والدعوة إليه وبإيمانه بأن زيادة الشعب الجأ ترى
قد تمت في إرادته ، وإن الله قد اختاره ممن كبير ، هو عاده
الامة وفيادتها إلى الجهاد في سبيل الله .

نقلب صفحات تاريخه ، ونسمع أفعال الخضر عنه ، وننصت
لنظمه وشعره ، ونقرأ رسالته ، فنلبس رجلاً ورأوى حط من
الإيمان ، والتمه بالله ، لما جعله فهو ، مستوى أمدى برحمتك كائن
لإختارهم المولى حل وعلا لعمى حاله ، فقد كان يعلم أن أمامه دولة
قوية ، قد أفرغت في القتال كل قوتها ، وصممت على فتح بلاده ،
واستعانت بما أحرجه الله ، ولعلم في الحروب ، وقد حرجت من
تجارب حروب ومعارك ، ومع ذلك وقف بنفسه ، وكان يشعر
أن أعداءه في الداخل لا يقلون خطراً عن أعداء الوض ، فتقبن
والرضا حكم الأقدار ، وقاد بلاده هذه لئلين ، وهو واثق من نفسه
لا معين ولا حليف له ولا أمل لديه إلا همة اليوف التي حرجت
من أعينها ، ووقفت معه .

نعم في وسط المكائد والهرائم والدعوة إلى الهرطقة تعلو قوة
عبد القادر ، فتحلق من الهرطقة قوة ، ويدعو إلى الله ، وتعمل على
جمع لشمل يقود الزامة اخراثة إلى كفاح ضوئى إلى المجد

ذلكم هو ظل الاستقلال الجرائدى وأول مسلم تنق صدره
حلقات المحوم المصاد ، الذى شنه العرب علينا لا تراعى أراضينا .
حينئذ أكتب عنه أسعد ذكرى حادثى أثرانى حيانى : أما
الأول مصوره ربيعة لأمر عبد القادر رأيتاهى السوق الخيرية اتى
أقيمت بحقيقه الأركية . احصره مجاهدين من أهل طرابلس ، لما
اعتدت إيطاليا على أراضيمهم رأيتاه على حوائده ، وقدائف المدافع
تفجر من حومه ، ووقف مأجوداً ، وكنت فى العاشرة ، وإذا
بصاحب المؤيد الشيخ على يوسف يحدث عن حصن الجرائد ، ومن
ذلك اليوم انطعت فى نفسى صورة مائد لرعيم وحرصت أن
أقرأ عنه ، وأعرف إلى معاركه وآيامه

أما الحادث الثانى . فيوم وقعت على قبره تحت قمه سيدى محيى
الدين ان عرفت بمدينة دمشق . لقد كان لشوق إلى ربارة الصريحين
شديداً طوال سفرى من أنقرة . ولما لم اللقاء وقعت أمام هذا
انقر أستعطر الرحمة على ظل الاستقلال . ومرت أمامى صمحت
الجهاد وأسماء السلافة فى اخراة

وهران ومنطوية سنان المعسكر متعائم . البليدة .
مليانة ، وذكريات المعارك الخالدة في رُؤس العيون ، وحق السطح
ووادى الزيتون ، وغربها من مواقعها .

وفي باريس صربان كبيرتان ، تمثلان عراك الأمير وحمود
فرسا ، وقتلهم الصوف أعرجهما . قيل أن الأمير وقف أمامهما
عند يارته للعاصمة العرسية وقال أراكم تمثلون حمودنا منهزمة ،
فهلا نظرتن ورسمتم المعارك الكبيرة ، التي ولى فيها جنودكم لأدبر .
وفي قصر العجزة حيث متحف الجيش العرسى نجد الآثار
والأعلام والأسلحة من بقايا حروب عهد فنادر ، لقد كنت ألسها
ثم أقبل بدى الله لها ، وحى أمامها . وأقول هو أعيش لأرى
الحرائر حرة ، وقد خلعت استعبادها ، وأسمع أناشيد الأمير من
مقصودته الثائرة تزل في مدارس القطر الشهيد

وحن لنا دين ودينيا تجمعنا
ولا خير إلا مالنا يرفع اللهوا
وإنا سفينة البيض في كل معركة
دماء العدى والسر أسعرت الجوى

أريد أن أشرح معاركه ، وأكنها ليقراها أسماء نصر العربية ،

ويروا آيات احمد والطولة، ولكن الرمن يسير بخطوات سريعة ، وأريد أن أحدثهم عن يوم تجمعت فيه أحكام القدر ، فأبى البطل سلاحه ، واستأمن للمحصن ، على أن يذهب للاستكندرية ، فغشت فرنسا بيمائها وموانئها وعهودها ، وقادته أسيراً إلى فرنسا حيث أمضى مع والدته العجوز وأهله خمس سنوات في الأسر ، يحزن فيها إلى البلاد التي أراد دفع الشر عنها ، ثم أطلق سراحه ، فبدأ طريقه إلى در الخلافة حيث يلتقي السلطان عبد المجيد العثماني . وبعد إقامة يسيرة في بروسه يذهب إلى دمشق ، وهناك يعيش حتى يرقد رقدته ليترحم عليه محبوه . أما أنه بعد قرأت حين وقعت على ضريحه قوله تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما صغفوا وما استكابوا والله يحب الصابرين)

(آل عمران)

ذلك لإيماننا أن أمه تنجب عبد القادر لم تموت ، بل سبغت مثلاً يهز الأرواح ، لأن اندرس الذي ألقاه علياً كان درساً يحرك السموس ، ويدفع للعمل لقرون قادمة . إنه قوة من قوى الذات الإلهية التي معها الخير الناس ولما حطه الله في سجن القدر ، من أن تحيا الأمة الجزائرية ، لتعود إلى أيامها الأولى ، أيام المرابطين والموحدين

القسم التاسع

كفاح الجزائري أمام جحافل فرنسا

قال صابط الحجرية الياقاني :

إليك لم تفهم بعد الدرس الذي تلقيناه من أجدادنا بهزيمتهم
وموتهم . أنه درس صبر وعناد ، ويعطه واحتراس ، ومكر وحديعة
لكي نتصر على أعدائنا فهنا لمدارسهم ، وكانت عقولنا لا تهم
تعاليم العرب وأساليبه . فشرنا بتناحشنا إلى عقليه أوربية ، فأقدمنا
بكل صعوبة وألم وحسرة على التحرر من أشياء عريه علينا للحصول
عليها ، ولكن هذا التعبير كان لارما لأجل الخلاص : لأجل إنقاذ
الوطن : لكي نتصر على الأعداء في الميدان .

(من كتاب المعركة)

إننا لا نحاول سرد حوادث هذا الكفاح لأن من السهل تباع
معاركه وأدواره وحلقاه من كتب التاريخ في مختلف الساعات . ولذلك
سنكتفي بإعطاء فكرة إجمالية ، أو رسم صورة عامة من التي يراها

واقف على مرقف أو مركز للرصد على راية عالية تشرف على
الأحداث والتطورات وعلى مواقع القتال . ونزجو أن يوفق في
إجراح الخارج صورة حه ، وذكرى لم شاء أن يتذكر ، من دروسه
وتجاربه وعمره . حتى لا تشكر الإحطاء مرة أخرى في تاريخنا
وكما حنا .

كانت حكومة الحرائر الإسلامية من الحكومات التي يمس لها
شبهه أو تماثل في تاريخ . إذ كانت تابعة للدولة العثمانية ، ولكنها
تمتع بسيادة وحرية ، وكانت حاحة على القانون الدولي ، والعرف
السائد بين الأمم الأوربية . ومع ذلك فهي تفرص الاتاوات على
على دول العرب ، وتنقضي رسوم المرور في عرض البحر ، وإلا
هاجت أساطيلها لمر ك اسعارية ، وأحياناً تغور هذه الدول
ومرافئها ، ولهذا سألها الحكومات المختلفة ، وأدعت لقول
ما تهرصه هذه الحكومة عليها ، فكانت ترسل إليها هدايا معلومة
مالية أحياناً ، وأخرى معدات وآلات حرية ، وكان هذا شأن
بريطانيا معها ولدا يمارك وملكة صقلية والبرتغال والسويد
والنرويج ، حتى ولايات الماسا والولايات المتحدة خصعت لهذا
النظام العجيب الذي فرصه حكومة قليلة العدد ، ولكنها
كثيرة البطش .

وكانت قواتها المسلحة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ ألف مقاتل ، من الجنود الأتراك^(١) ، أو أبناء هؤلاء من أمهات وطنيات ، وكان ينضم إليها رجال من قبيلة روابوه ، وهي التي حرفها الفرنسيون ، فأصبحت فرق الرواف المشهورة التي قامت على فتطويع هذه القبيلة ، وبها بدأ جدد حكمه الجزائر النظامية

وعلى هؤلاء الجنود اعتمد الدفاع عن المدن الساحلية عند مهاجمة الفرنسيين ، ولما نشت فواعد حكمهم خلدوا من الأسرى أول فرقة وطنية للاستعانة بها .

أما في الداخل فقد قامت قووه للدفاع من جماعات المقاتلة من رجال انقبائل ، وهم مشاة وفرسان على طريقه حروب البادية ، ولما اشتدت المعارك فكر الأمير عبد القادر في إدخال أنصاف العسكري الحديث ، مقلدا المحاولات التي حاولها كل من محمد علي ، والسلطان محمود العثماني ، ولا شك في أن هذه المحاولات قد هزلت أبطارها ، وتطلع إليها ، وحاول تقليدها .

وفي سيرة الأمير ذكر أسماء هذه الحركة وإشارة الدعوة إلى تجنيد الأجناد وتنظيم العساكر تحت اللواء المحمدي ، وإيجاد دفاتر لتقيد الجنود ، الذين بدءوا تدريبهم ، وأنعموا بتعليمهم ، ورسم الدين حملوا السلاح ، بهم كما هيأ وصف كامل لأصناف الفرق ، من مشاة

(١) دجن لاراك العرب في عهد ابن طولون ، وهجروا إليه في عهد الأيوبيين جماعات .

وفرسان، ومدفعيه، وطيقة التبعه، وتسير وانزال في المعسكرات
ويظهر أن هذه القوة مع اهتمام الأمير عبد القادر بها لم تكن هي
التي يقع عليها عبء القتال وحدها وإنما كان الكفاح موكولا إلى
رجال القتال، وكانت هي ثمة قوات ثانوية مساعدة ومكملة

أما الفرنسيون وكانوا على علم تام بصيغة الأرض الحراثية
من ناحيتها الجغرافية والتضويعية وليسهم الحرائط المفصلة عنها
فقد أثبتت المراجع الرسمية أن سلبون لأول أرسن صابط فرسبا
إلى الجزائر عام ١٨٠٨، وكلفه أن يدرس التفصيل مشروع الحملة
الفرسية، ووضع الخطط العسكرية اشاميه، ووقد قام هذا صابط
بمهمته، وصحح المواقع على الخرائط، ورفع تقريراً ونبأ عن
الشاطيء الأفريقي والأماكن التي تصح لإزالة الخنود وأشد إلى
الطرق والآبار والوسائل التي تؤدي إلى حشد القوات ودراسها،
والسير في حلقات الحية، ولم يكن لدى الفرنسيين عدد عدوانهم
سوى إحراج هذا التقرير من حلقات ورة الحربية وتقييد مافيه
وهذا ما حدث في عدوان سنة ١٨٣٠ إذ ارتأت افريقي لأماكن المختارة
في هذا التقرير وتحت تعاريف حملة مصر عدد احتلالها مدينة الإسكندرية
و احتبارها منطقة المعجمي التي تشه سيد مرجح ولم تكن الفرنسيون على جهل
بأساليب القتال لدى المسلمين، فهم قد حاربوا المماليك في معركة

أنيابه " ، ورأوا ما يمكن أن تقوم به أساليب القرون الوسطى أمام جود معانة على الطرق الحديثة ثم هم لم يجهلوا تتبع التطور الذي أدخل على أنظمة جيوش المسلمين . فقد كان من صباطهم وتوابعهم من رافق حملات مصر ضد الوهابيين . وكانوا في الصفوف الأولى يقيدون حركات المصريين ودفاع الوهابيين . ويكشفون عورات الجانبين ، ثم يستفيدون من كل ذلك في حروبهم بالجزائر .

واحتير للقيادة البرية المارشال بورمون وهو من رجال سنة ١٨١٥ أي من الصباط الذين ماتوا في معركة واترلو ، وحصلوا معارك نابليون ، فأُسندت إليه أمره حملة سبت على تقرير صباط من صباط نابليون ، وكان على الأسطول الاميران - ويرييه ، ولكل منهما طائفة الخاص ، ورعته في الإبحار والصباط فاست أن دب الخلاف بينهما . ولولا تعليمات الحكومة المصرية أنه إذا احتلف الرأيان قصر رأي المارشال ، واسندت إليه القيادة البرية والبحرية لاستفحل بينهما التراع ولعلت احمله

ولعل أعظم مأساة العربيين على التغلب هو أعمال المدفعية التي تجرها الخيول ، فقد امتارت منذ الساعة الأولى كما ذكرنا بقوة بيراتها ، وبوفيقها في إصابه الأهداف وسرعة حركتها . فكانت أول عامل من عوامل النصر لديهم . كانت كمدركات هتتر ، وقرقة

(١) كانت معركة الاهراء مأساة على فكرة ان جيوش الميك لا تقهر .

البارز الألمانية في الحرب الأخير، وهي البرة التي كانت لدى الفرنسيين
على حشد حكومة الجزائر وعلى العرب المحاربين . ولولا هذه القطع
من المدفعية لسكانت الحرب بين الفرنسيين على مستوى واحد ، من
تكافؤ معدات القتال .

فقتصر في ساحل عند الأحيال ، على مدن ومراعي متعددة ،
ويتكون الداخل من سلاسل جبال ووديان ورمال ، صلح للحروب
وتسمع للقتال والعشائر التي تسكنها أن تتولى غميتها بكل سهولة
صد الجيش المهاجم سيما وهي من جماعات ألقت الحرب .

على هذا الميدان نزلت قوات فرنسا بمعدات ثقيلة ومهدتها
الأوروية لمواجهة أهل البلاد ولديهم ثلاثة أصداف من المقاومة .
جند حكومة الجزائر وحكام ادهماصات . الحشد المصري الذي أشبه
لأمير عبد القادر ثم العمود المصري للفن وعلم رجال القناتين الذين
أبوا دعة الجهاد .

هذه هي حرب الجزائر التي اشتدت وعظمتها على أرضها
من الحدود الأوربيين . اصطفت معاركها . ومشورتها تحت وهم
الشمس . فتعبرت سجنهم . وبدايت لديهم سلاسل الميدان ،
وأصبحوا مع الرمن كقطيع متفصل عن العنم . لا يعرف سوى
الحرب والسمار وإسالة الدماء على الأرض الأفريقية هذا جيش أفريقيا ،

الهرسي الذي لدوشأوز عرع في معارك آخر اثر ، و حروبها العاصية
و دأرت ربحي الحرب سنوات والحر ثم تولى و اصبحت تتصاهف
و ليس لدى الهرسيين الخبرة لو سعه بالإدارة والحكم ، فهم تارة
يبحثون إلى الشدة ، و يمنعون أنفسهم إسمها هي الحرم ، و أخرى
يتقربون رلي إلى الأهالي ، و في أوقات تقدم قوادهم على عمديات
حرية ، هيها محارقه و السرع ، فترتد عواهم و حيمة عليهم .

مر وسط هذه المكاتب ظهرت فكرتان الأولى إنشاء المكاتب العربية
التي أصغر سبب في نهاية إسم مكاتب الوطنية و الثانية تحييد أهل البلاد
وقد ظهرت بوادر التحاح في البحرين ، إذ بالاعتماد على الفرق
الوطنية المقاتلة و بعد حنلال مدينتي بون و وهران ، و اتساع حقله
الدفاع أمكن انقاص القوات الهرسية من ٢٧ إلى ١١ ألفاً فقد هذا
نجاحاً للقيادة .

أما المكاتب العربية فهي التي وصفت سياسة التحرر سواشريد
وهي إحراق المناطق المروعة ، و مصارفة قطعان الماشية ، التي
تملكها القبائل اعاصيه ، و لاستحواد على الأصهار و النساء كرهائن ،
و القتل بهم إذا اسعرت الحرب ، و أحرأ طور هذا الشاهد إلى
القمة ، و اتجه إلى در اشق في بين عناصر و صوئف الأمة الجزائرية ،
و خلق قضية العرب و له ، فكتبت هذه المكاتب في هذا النشاط
من المعارك أصعب ما كنده فرنسا قعود السلاح .

(١) و در الشب و سبب فرنسا في الحرث و تمت نكته فلسطين .

أن يرقبوا الأنهار والأنواع ، قيل الخصوم والأعداء ، وأن يهزموا من بين وقت لآخر معركة صفوفهم ، وأحرام حركة تظهر ، لأن الدول الاستعمارية وطدت سلطانها بهذه المنطقات ، ومن يتبعها من الرجال المنشين في كل جهة والذين يشايعون الاستعمار وتبعه ألسنتهم ويتظاهرون بالتطرف لاحفاء حقيقة الأمر .

ولقد تمكن الأمير عبد القادر من إيجاد دولة عربية مستقلة ، عاهدت انفرنسيين على السلام ، واحتفظت بقواها كاملة ، بعد أن حققت ما ترمى إليه بانتصارها في ميدان القتال ، والى ذلك الدولة التي عاهدتها كانت تفكر قبل أن توقع على المعاهدة في نقصها ، فها هي وقعت عليها حتى بدأت ترسل النجيدات تسمى ، وأحدث تأثير القمائل عليه

ويقول الفرنسيون في ذلك ، إنما لم يعقد مع أمراء المسلمين معاهدة وإنما عقدنا هدنة لكسب الوقت ، حتى يتم تخطيط الجهة الشرقية ثم يعود إليهم في وهران .

هذا ما حدث فإن بعضهم تحول فجأة من جهة الأمير عبد القادر إلى جهة قسنطينة على حدود تونس ، حين عيأت فرنسا قواتها بكاملها ، وزحفت على المدينة في هجمتين فشلت في الأولى في وبراير سنة ١٨٤٧ وكان ذلك قبل التوقيع على معاهدة نهما مع الأمير ، وبحجت

في الثانية بعد نقل حاميات العرب فافتحمت المدينة المحصنة في أكتوبر سنة ١٨٣٧ .

ومن ذلك يتضح أن قواد فرنسا بعد أن أدركوا فداحة حرب الحرائر أخذوا يسقون حططهم الحربية، ووصعوها على أن تنفذ على مراحل، وإذا أتموا مرحلة، اتقلوا العرها، ووصعوا المبدأ الثالث وهو شراء لصر والعلبة بأي ثمن، حتى لا تفقد فرنسا هيبتها العسكرية . ولذلك وصلت قوة جيوشهم إلى ٥٦ ألف معادل في سنة ١٨٤٠ ، واستدعت فرنسا بعض الكتائب المترة من أصاف القباصة التي كانت تعد من قبيل فرق الكوماندو في العصر الحاضر، لتعوقها في التدريب أي زهرة الجيوش الفرنسية

أما الأمير فقد آمن بعد مهاجمة الفرنسيين لعاصمته بالعرق الكبير (بين الحدود المنتظمة والحدود المتطوعة) ولذلك انهر مرصه بعد المعاهدة وعزم على إنشاء جيش نظامي حديث فمقدحها عاما من رجال الدولة وأعيان الرعية وحط بهم خطة أوضح فيها فوائد العسكر النظامي ومافعه وأحرمه أنه اعترم على تنظيم عدد منه فأحابه الجميع، وودى أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الاتحاد وتنظيم العساكر . من أرا - لدحول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الأمانة والمعسكر، ليقيد اسمه في الدفاتر الأميرية .

ومع انتصارات حرب في جبهه قسطنطينه أحدثت نظريتين
 حدودها آثار الحروب الإغريقية ومتاعها ، فقد ساعدت سنوات
 السلم على اردية حوادث اعصيان بين الخنود الأوربيين ومخافة
 الأوامر ، وعدم الادعان للقواعد المعمول بها في الفرق الفرسية
 بأوروبا ، نتيجة لاختلاف البيئة وأحوالها ، بل أن مصي لسنوات
 أباك اختلال الأنظمة الصحية وأساليب التعذيب ، واضعفت النظام
 مما أدى كما قلنا إلى الإستهانة بتطبيقات القواعد العسكرية ، وظهور
 حوادث العصيان ، وأعقب ذلك سكة مليانة التي أظهرت للعيان
 ضعف قوة معانة لدى الفرق الفرسية الضعيفة ، وفقدان الروح
 العسكرية ، ودرجة الضبط والرقابة ، التي عرفت عن الجيش الفرسي
 إزاء هذه السكة اضطرت فرنسا إلى تغيير قياداتها العامة في الجرائر
 برمتها وأحبرت على إدخال أنظمة جديدة للجيش وإلى العمل على
 رفع مستوى الحياة في الشكاات والمعسكرات والتشديد في المحافظة
 على روح العقيدة والكفاح في المستوى المعتاد ، بعد أن كانت هبطت
 هبوطاً ملحوظاً في المعارك الأخيرة .

ولم يستعد الأمير عبد القادر من هذه الفوضى الصارمة أطنابها ،
 لما ينقصه من خبرة وإلمام بأساليب الأوربيين وأنظمتهم وإلا
 لصربهم صربة ميتة وقت شدتهم .

ومن كل ذلك تخرج ، تأنح مؤلة

إن جهاد أهل الجزائر كان مجيداً ومشرفاً لهم ، ولكنه لم يكن
موحداً تتولاه هيئة قياده عامة ، كان جهاداً مرعوباً ، ولم يكن هناك
ارتباط أو مهام أو ترتيب مختلف الجهاد .^(١)

إن الأمير عبد القادر قى وحده جهده ، ولم يصله أية مساعدة
من تركيا أو مصر
إن عمق ربه صهرت في المعارك التي انتصر فيها ، ولكن لم يدعمه
أحد من القواد أو حرس الأوربيين .

إن منافع لعدم ومشاكله غيب مكتومه من علم الأمير وقواده
إن المكاتب العربية التي أشتهرها كانت على علم تام بمشاكل
الأمير ومنافعه وكانت يريدونها وتحركها وتشعل ببرائها إذا همدت .
إن السلم الذي حصلت عليه فرنسا كان هدنة لكي تتمكن من
توجيه صربانها إلى جبهات أخرى ، ثم يعود إلى الجهة التي سالتها
لتقضي عليها .

في وسط هذه الحروب تبدو حكمة الضابط الياباني أنه أخذ
بالمقالية الأوروبية لأجل الخلاص ، لأجل إنقاذ الوطن لكي يستمر
على الأعداء وهذا هو الطريق الذي يؤدي إلى كسب المعركة .

(١) ظهر ، هذه الاخطاء في مجلة فلسطين ١٩٤٨ .

القسم العاشر

الاستعمار الفرنسي في الجزائر العربية

يوليه ١٨٣٠ - يوليه ١٩٤٧

« نحن نقص عليك سأم بالحق »

قرآن كريم

إنه سأم هذه الأمة الجزائرية العربية ، التي تسكن أرض الجزائر ولها على هذا الوطن الحق الطبيعي التاريخي الثابت ، الذي لا تصدقه أقاويل فرنسا وأدعائها ، لأنه مسحت من ثابا القرون العديدة التي أمصتها هذه الأمة على أرضها . وهي تمتنع بكامل شخصيتها وميراثها ، لا يشاركها فيها أى مشارك . ولا يشاركها فى إيجادها أى متدبر .

إنها قصية تسعة ملايين نسمة من المسلمين ، تحاول فرنسا أن تجمع منهم قطيعاً فى بلادهم . فى الأرض التي حملت تاريخ سأمهم وأجدادهم . أتدري بهم محرومون من حق سياسي أو اجتماعي أو ثقافي ؟ . وأنهم لا يستطيعون أن يحجروا بأقوالهم ومشاعرهم ، لأن

حرية القول ، وحرية الاجتماع ، وحرية الصحافة ، من حرياتهم
الدينية محرم عليهم .

والتي تحتفظ قرب إدارتها الاستعمارية وحرورتها . تلجأ إلى
فرص نوع من الرقابة لوائده لا يقل عن أشد أنواع الحساب ،
التي فرصته ألمانيا ، و اجيبوا التي فرصته روسيا الوفياته
على أراضيها . إنها تجلس من إدارة الأمن العام والمكاتب الوطنية
أداة الارهاب والشرى والتجسس ، وكب الحريات لدرجة أنها
تصرف خمس لميريه ، على هذه الاداة السريسية الجارة .

تصور حكومة تشري كباها وحكمها وإدارتها ، بأن دور
حس أموالها على هيئة يومية للسمع ولإرهاب ، ماذا يبقى لها أن
تفعله في مبادئ احاة العامة ، وبشر التعليم ، والصحة ، وهي مضطرة
أن تحتفظ بحاج هذا منافع تلصرف على الجيش والهوات
المسلحة الأخرى .

أقد عرفنا شانيو (hata gneau) سكرتير أعاما لمعوصيه
فرسا فسوريا ولسان ولحد في أحادشه وأقواه الرجل افرسى ،
التمسك بمبادئ الثورة الفرنسية ، وقالدها المبعثة ، مما أعتته
عن حقوق الإساء . كان صريح بهذا و . لادته تحت الحكم اسارى
وسيطره جيش الاحتلال ، ودات الأيام بهذا ، لشغل مركز الحاكم

انعزدي العام، إنه يمثل احموريه بلاد الخرائز، وهاهو قدلس لاس
الاشتركيه، وجاهر بحقوق ائمه المظلومه، واسكنها في بطره وفي
عقيدة أمته من اليد، من اشركيين وشيوعيين قاصرة على
الائم مذكور به وحدها، أما شعوب الشرق، وائم الاسلام فهي في
الخرائز، وشمال فرنيه، وفي خاين، وواو اسب آسيا - سواء في
تحمل الصند والحضرع سيطره بالاستعمه - امرسي أو اسوقيتي
مادا بقول حاكم الخرائز الاشتركي، به يقرر في خطابه الذي
ألقاه في يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بالمجلس الماني الخرائزي (إن
يصح أرقام الميرانية راجع إلى - ثلثة عدد الموظفين في إدارة
الائم العام).

أي أن حكمه الخرائز الإستمه به الرجعية استعمه، والتي
يوجد على أمها حاكم اشتركي تشري وجودها شمس باهظ، من
حياة الشعب الخرائزي، إذ يفرص عليه الجهن الدائم، لتعديش مع
جيش موطنها، بها ذلك الأمر ص وتسمى وسط حماعاته والسنون
نأكل من أطعمته، لكي يعيش هي مع جيش من الموظفين الفرسيين
يخدمون مآربها ويؤكسون سلطانها، وحررتها عليه.

وفي الوقت الذي تصرف فيه فرنسا على بوليسها وغيوها هذه
الثروة الظائلة من أموال الشعب الخرائزي نجد أن ما حصصته من
هذه الميرانية للصحة العامة لا يتجاوز أربعته وثلاثين مليوناً من
الفرنكات، وما أرصدته منها للتعليم أقل من ذلك بكثير.

لذلك نشرت الأمراض بين طبقات لأمه وصح المستعمرون
حيثما تدين لهم أن نسبة البعادرين على حمل اسلح من الجنود الوطنيين
قد هبطت لأن الأحوال الصحية لم تعد تسعف الآتون الفرنسي
بالآلاف المؤلفة من أبناء العرب الذين ، لدفعها إلى حوفه في
حملاته الإستعمارية ، وسحوها إلى أشلاء وهياكل عظمية ، إنه يطلب
المزيد من صحاياه .

هذه القوة الحاربه التي تسمى « بدرة لأمس العام » هي أداة
إستبدادية تجد لها في تحقر دائم وإستعداد قائم للاقتصاص على الشعب
الجزائري إذا تحرك ، أو أظهر امتعاضا ، إنها تمكن المستعمرين من
إبعاد أمه وأسرها عن دفع الحكم . وعن تولى المصالح العامه في
بلادها ، أي تجعل من شعب يريد تعداده على تسعة ملايين نسمة
عربياً في بلاده ، طريداً في وصبه ، مسوداً على انزوى الذي حمل
سطوة آياته وأحده ، من نفس أكثر من هذا ، إنها تقيم بينه
وبين العالم سدا لا يحعبه ينصر شتاً مما وراءه . لأنها تعزله عن الدنيا
كما يعزل الموبوء والمخدوم . كي لا يرى بهر العالم . ألا فيعلم العالم
أجمع أن أهل الجزائر محرومون في بلادهم من قومه الخرائد العربية
التي تأتي إليهم ، وإن لدى المكاتب العامة هو أعد لا يسمح ، أن
تغير الوطنيين حتى المكتب العربي . أي يحدث عن الحرية
وآمال الشعوب .

فهل رأيت سدا كهذا الد .

أما في الميدان الاقتصادي فما من شعب من شعوب الدنيا تحمل ما تحمله الشعب الجزائري ، من مصدرة فرنسا قدمها في شمال إفريقيا . إنها أحدث تهب لثروة الوطنية ، وتصدر أملاك الأهالي وتجعل أراضي الحكومة والدولة وحيرات الأمانة وفقاع المستعمرين الفرنسيين ، ومن لادهم من طرفي الخصيات الأخرى .
ولقد نقل صاحب كتاب تحفة لرائر في مآثر الأمير عبد القادر وأحبار الجزائر أن قائد الجنود الفرنسية رتب مجلسا من رؤساء الحند ، لضبط الخرائط من الأموال والمهمات الحربية والدخائر ، فتخصص من صطلها عن ما في من اذهب والفضة ، وقيمة الجواهر ٥٢٧ و ٦٨٠ و ٤٨ في سكام الذهب . ومن الحنطة والشعير ٣ ملايين ومن المدفع والسادق وسارود والفساس وغيرها مع ثمن الأملاك الأميرية حسين مليوناً .

وهذه الثروة الطائفة التي وقعت عييه لأيديهم عند الفتح علمتهم طريقة الاستحواذ على غيرها ، فإذا هم من يولية سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٩٤٧ يسبزون على هذا المنوال من المصادرة والاغتصاب حتى انتهوا بأن فرصوا الفقر والعاقبة والإملاق على شعب بأسره .
وهذه الثروة الطائفة قد عطت ما تكلفته الحملة الفرنسية الأولى

من أعباء ماله علاوة على صياح الديون ، التي كانت فرنسا مدينة بها لحكومة الجزائر الإسلامية .

أما مصادرة أملاك الوطنيين سياسة وصحتها فرنسا وفقدتها فيها إيطاليا وإسبانيا ، وهي تنحصر في تحديد منطقة حصص من الأراضي ، وتزعم ملكيتها اعتصاماً ، ونحن سكانها نابقوة منها .^(١) وقد عمدت فرنسا لأول مرة إلى هذه لسياسة في أقاليم القبائل وفي جهة قسطنطينة كعقاب أركانها الكبار الذين عقب ثورة عام ١٨٧١ ، إذ رعت ملكية ما مقداره خمسة ملايين من الأوقنة المصرية . منها مليون فدان من أجود الأراضي الخصة شردت أصحابها ، وحملت هذه الأراضي لإسكان المهاجرين الفرنسيين ، خصوصاً أهالي الألزاس واللورين ، وهم الذين طلب منهم الكرديس ل لا فيجري ، تسليمهم هذه الأراضي ، وإخراج الأهالي الوطنيين منها دون أن يعرض أصحابها شيئاً .

وقد سارت حكومة الاستعمار على طريقة فرض عرامات باهظة ، وعصبتها بشدة مناهية ، فأحدث ملايين الفريكات من أهالي المقاطعات التي قامت ثورة القبائل ، وعرف الوطنيون الدلة والسكنة ، وبيع الأراضي والدور في سبيل عتق رفاقهم

(١) تنفذ هذه سياسة ضد المسلمين في روسيا والقوقاز وفي الهند وأجزاء بشكل على في فلسطين .

ولا يزال بعض الإحوان المعارضة الذين لقوا الويل على أيدي فرنسا ، يتحدثون أهل الشام هذه الكوارث ، ويقولون لهم : أنتم بحير ما دمتم بعيدين عن حكم فرنسا المباشر ، وهو الذي يمثل قاضي انصالح الفرنسي ، وحارس الأحرار ، فإثاني يكب المحالقات والاول يصدق عمايا عليها فلا يشعر صاحب ادلك الوطني إلا بالتبعية على زرع الملكية يلاحقه ، فلا يقدر أن يفلت من يدي القضاء إلا وهو مجرد من كل ماعلك

وبهذه الأساليب والقواعد التعسفة حرحت أحسن وأحصب الأراضي الزراعية وأحودها ، من أيدي الوطنيين ، وأصبحت تحت يد المستعمرين الفرنسيين ونزلت نة أملاك الحراريين إلى نسبة ٣٦ ٪ من الأراضي الزراعية ، التي كان يملكها الحراريون إرثاً عن آباءهم وأجدادهم . وأدخل الفرنسيون فلاحه الكروم التي شعلت أكثر من ستة ملايين هكتار ، وهي كروم محصصة لأنواع الأندة هبط مساحات الأراضي المحصصة بالحنطة والمحاصيل الحسوية ، لمعيشة السكان الوطنيين وتعرضت مناطق الحرار لأخطر المخامات ، التي اتت أفريقية في العصور الحديثة . نتيجة لتلك السياسة الإستعمارية التي اترعت من الآهاى أحصب أراضيهم ، وجعل منهم عمالاً أجراء ، يعملون لدى الكولون

الفرنسي لقمه دراهم معدودة ، في أرضى كانوا يملكونها في
الأمن القريب .

والبلاد الحرة التي كانت قبل ١٨٣٠ سكنى سكانها من
محاصيلها لزراعة ، ونصدر من حياها الشيء الكثير قد أصبحت
في موهب اقتصادي . يجعلها على غيرها في طعام سكانها
وإعاشتهم ، لأن الاقتصاد برأى والإنتاج الذي مرصه فرنسا
عليها لا يتفق مع حياة السكان اوصيين ، ومصالحهم ، وموارد
رقهم ، وتنظم أمور معاشهم ، وهم في فقر مدقع ، واحتياج دائم
ويعت من هؤلاء آلاف كل سنة بسبب الإملاق والمرض
وسوء المعيشة .

وقد مات في سنة واحدة حسب إحصائير الفرنسية ما يقرب من
نصف مليون جراني ، إن المحاعات التي أنشأت بلاد الجزائر في
إحدى سنوات القرن الماضي ، ولم تحرك هذه السكة أحداً من
الأجانب ، الذين لم يشعروا بها . وكأذا في رعد من العيش الدائم .
إن قيام سلطة حكمية فرنسية ، لجزائر أمضت أكثر من مائة
عام ، لا يهملها شيء من أمور المواظين — أمر لا يقبله نظام العالم
الجديد ، ولا يمكن أن يسلم به دعاة الحرية ، ومن يتحجرون بمبادئ
رفع الظلم عن الشعوب المعذوبة على أمرها ، ههنا حكومة

تفرض الإمتيازات وحقوق الإنسان لعريق من السكان ، تمنحه كل الخيرات ، والباقي مهم أى تسعة أعشار السكان ، وهم أهل البلاد محروكون من كل حق لهم ، بل تطارد هم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وتسير بهم نحو الشر يدوا لإفناء

وفى سبيل إبقاء هذه الحالة تحرم الحكومة الجزائرية الفرنسية أهل الجزائر من حق التعليم ، وما سعه من حق المهور الإجتماعي .
 فى سنة ١٨٣٠ أعطت كافة المؤسسات الثقافية والتعليمية ، التى كانت قائمة بمدينة الجزائر و فرصت سياسه الجهل المطلق ، وحرارة اللغة العربية ، لغة البلاد الرسمية ، واعتبرتها لغة أجنبية ، بل ذهبت لأكثر من ذلك ، إذ حرمت تعليم القرآن الكريم فى الكتاتيب إلا إذا علمت معه الفرنسية ، فكم عدد هذه المؤسسات التى توسعها أن تعلم لغة أجنبية فيها ؟ كان هذا المليون بمثابة حرمان الأهالى من تعليم الكتاب الكريم ، ولا يوجد ما يشبه هذا القانون سوى الإجراءات التعسفية التى فرضتها حكومة فرديند وراى على أهالى عرابة المسلمين عندما أوقعهم سوء الحظ تحت بطش قوم رعت كل عواطف الإنسانية من قلوبهم

وبل أعطى ماعماره الإدارة الفرنسية بالجزائر محاولة نشر الجهل ، وتعميم الأمية بين صفوف الشعب الجزائرى ، حتى لا تقوم له قائمة ، أو يشعر بشخصته ووجوده .

فقد صرح عميد الجامعة لجرائرة أمام لجنة الإصلاحات الإسلامية في يناير سنة ١٩٤٢ بمدينة الجزائر (أن بين ١٢٥٠٠٠٠ طلبة وطى في سن الدراسة ١٠٠٠٠٠ فقط حصلت لهم ٦٩٩ مدرسة وأن عدد الأوروبيين حسب الاحصاء ٩٠٠٠٠٠ وعدد أبنائهم الذين يتمتعون بالتعليم الابتدائي ٢٠٠٠٠٠ طلبة حصلت لهم ١٤٠٠ مدرسة)

هذه أرقام تتحدث بنفسها عن سياسة فرنسا إزاء عاياها المسلمين بالجزائر ولو شئنا أن نهيس حالتهم في درجات التعليم العالي والثانوي رأينا لعجب العجائب فإن السنة لا تتعدى فيها ١٠ مائة من الأحوال ولم يمكن تصديق شيئاً من ذلك حتى عاينا هذا بأعيننا في بعض المعاهد الفرنسية التي تهرض لأماء المسلمين نسبة معينة لا تتعداها ، مهما كانت ظروف أهلهم ، وذلك لكي يقتروا لاسلام بالجهل ، وتلصق بالمسلمين ظمأ وصمت العصص والاحر وعسم الرقي والخروج عن ركب الحضارة في القرن العشرين .

هذه سياسة أمة تقول : إنها أعدت حقوق الانسان ، وشرت العالم بدين جديد مبادئه والحرية والعدالة والمساواة وانما قدمت شورتها صروحاً للاستبهاد ويريد امرسيون على ذلك قولهم : لهم حملوا اعلام خرية والرقي والسعادة إلى بلاد الحرز ولقد رأيت فيها هذه البرهين القوية على سيطرتهم وجبروتهم وإفلاسهم في حكم الجزائر .

ليس لدينا الآن دليل قاطع على توحه العالم نحو المثل العليا .
 إن لم يوقف نحن الأمم إماراتنا مصر وفلسطين واندونيسيا
 ليس مشجعاً ولعل انقسام الكرة الأرضية إلى معسكرين من
 نتائج هذه الرجعية القائمة في أعماق لدينا .

ولكن على الشعوب مهما كانت ظروفها أن تخلق طريقها
 إلى حياة النور ، وأن تعمل لتصل إلى المصائب المأمنة ، حتى
 تفرص شخصيتها وأمانها وأهدافها ، على العصر الذي تعيش فيه .
 سيكون الطريق وعراً أليماً ، والعمى صعب في صعوده نحو
 الحرية والعدالة ، ولكننا لن نرجع عن طلب معاملة البشر ، وأن
 يعتبر العالم مجموعاً حيارقاً ، تملك من حق الرعاية والمعاملة ما يملكه
 أي مجموع أوروبي راق ، يسر نحو التطور . إنا نفضل أن نفى
 جميعاً من أن يحاول العالم إرضاءنا بالعرض دون الجوهر ، أو يلبيها
 بالأقوال دون الحقائق . إنا نأخذ عقلية وأساساً أوروبياً لتعالج
 على جبهات أوروبا .

القسم الحادى عشر

الاستعمار يواجه الـالام فى الجزائر

و ائلمهم ذاك الملك توفى الملك
من تشاء وتدع الملك من تشاء وتعمر
من تشاء وتدل من تشاء بيدك الخير
إنك على كل شىء قدير

(آل عمران)

وسلوكم شىء من الخوف
والخسوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين
(البقرة)

قل إن صلاتى وسكى ومحياى
ومماتى لله رب العالمين.

(الانعام)

تبين للعالم قوة الإسلام ، وعظمة الرسالة المحمدية ، في هذه الآيات السنت ، التي دعت المسلمين إلى الصبر والمصابرة ، لتوقوف أمام حوادث الدهر شجاعة وثبات ، فلا يلين قياتهم ، وتذهب ربحهم وإلا لبعث بها بحية لأحواسا المسلمين بالجزائر ، الذين وقفوا أمام فرنسا وجبروتها ، ولئن كانت صفحات كتابهم السياسي والحربي في الجزائر ، معروفة أمرها وتداولها الأيام ، فإن كتابهم الديني وطهم وثباتهم معجزة من معجزات الله لأن فرنساى معاهدة ١٨٣٠ مع حاكم الجزائر تعهدت كما قلنا باحترام الدين الإسلامى وشعائره ، وأحدثت على نفسها الموائيق ، لأن تترك المسلمين أوقافهم وعوائدهم ثم عقدت عدة معاهدات ، واتفاقات ، مع الأمير عبد القادر الجزائري وغيره من الرعماة ، وفي نصوصها جميعا ، اليهود والموائيق على غرار هذه المبادئ ، وهى حرية العقيدة وترك أمور الدين الإسلامى وشعائره بيد أهله .

وسكن هذه المعاهدات ، وما يحمله من إيمان ووعود ، وما أعقبها من نصريجات رسمية صادرة من الحكومه الفرنسية وتمثيلها ، ثم من الأباطور نابليون الثالث نفسه ، عند زيارته لأقطار الجزائر يد كل هذا لم يمنع الاستعمار أن يسهط يده على كل شىء في هذه القعة العريضة عليا ، وكان من جملة ذلك أن مدت فرنسا يدها إلى الدين

الإسلامي، وإلى الأوقاف الإسلامية، تراث القرون الماضية ومفخرة المسلمين، لأنها أوجدت ووقفت وبقيت طول الأزمان واحترما ملوك المسلمين وأمرانهم لما يعبدون من أنها أرصدت للصرف على المؤسسات الإسلامية، وهي هذه المدارس والمساجد الجامع، التي تحرص على تنعيم أبناء الأمة، وتثيت قواعد الدين. وتنقيب الناس تعاليم الشريعة العراء.

فما لدى حدث في الجزائر؟

ذكر الدكتور امريكو السباتو الإيطالي في كتابه الإسلام وسياسة الحلفاء (ص ٧) ما يأتي ماص.

رتطلت الحكومات الأوروبية في بعض الجهات باحترام أملاك الأوقاف وما أرصد من الأملاك على الزوايا والطرق الصوفية، وهذا شرط خطر يحس بإيطاليا أن تعكرفيه طويلا، قل أن تأخذه، لما يفتح عن احترامه من نتائج وخيمة، سبق لفرنسا أن تحملتها في الجزائر، لأنها حينما أعطت هذه الموائيق والعهود لم تكن لديها فكرة واضحة تماما، عن أهمية أوقاف المسلمين، وأثرها في إبقاء قوتهم الدينية، فكان من نتيجة هذه السياسة المرتجلة أن ارتكبت فرنسا سلسلة من الأخطاء للحروح من هذه السياسة، التي فرصتها على ارتدتها، فاصطرت أن تناقص ما أحدث به نفسها، وتعهدت للمسلمين باحترامه.

١١) ولما هاجم المستعمرون نظام الاوقاف في شمال إفريقيا عامة ، قالوا إنه نظام ربحي ، يجمع تداول الثروات ، والقصد من ذلك حرمان المسلمين من أملاكهم ، وسوا إليه أنه نوع من استغلال عمل الإنسان لأنه يحرص احب ودلث حينما رأوا الطلبة والمريدين يلقون العلم في الروايا والمدارس الإسلامية ، ويعملون في زراعة الاراضي المحقة بالمعهد ، وكانوا يطلعون على هذا العمل اتعاون في الإنسانية اسم المعونة . ولما اردت ملاك الاوقاف ورا حيرها استكنروا هذا الخير عنها ، وحاربوها باسم الحرية والعدالة والمساواة . وهم يعيرون أنهم يمتصون أولا و آخر هدم فواعد الدين وأقمار أهله وهذا ما وصلوا إليه ، حينما شردوا الطلبة ، وبرعوا أملاك الاوقاف ولم تكن هذه الاوقاف مرصده للعلم وحده ، وإنما كانت لوجه الله للساكن والمحرور ، وفي هذه الحاجة بالذات يقول صاحب كتاب « الدشريع الإسلامي الجرائري » صمحه ١٨٠ ما يأتي :

إن خمسة أعمار الاراضي الزراعية في الجرائر كانت أوقافا . وأن فرنسا حينما صادرت هذه الاملاك بسطت يدها على الدين الإسلامي ، وجعلت آلافا من الاهالي الذين كانوا يعيشون في تلك الاراضي جماعات ، تتجول لطلب العيش ، فأصبحت تسمى بقبائل الفقراء .

(١) يلاحظ القارىء أن الذين يهاجمون الاوقاف هم من يستعملون منطق الدول الاستعمارية .

والحكومة انفرسيه تمسك به لاديبه^١ . ومعنى هدد السياسة في العرف الذي ذهب به فرنسا هو التكمية الخرد ، تعاوان مع الدولة الحرة .

ونسب ذلك أن تمنع الحكومة عن فرص لها ادبها على أنشطة الكنيسة ، وقررت رجال الدين منبى مما يمكن بعده برر له اديبه و سياسة بحريه أو منع مما كان في السابق .

ولما تقمست سياسة فصل الدين عن الدولة صرح احد عظماء مجلس الشيوخ ، إن هذا الفصل طلاق ، وامكنه به ماعرف من العيش تحت سقف واحد مع تعاوان وعامه أوفى بما عهداه قبل صدور حكم الطلاق .

وقال أيضا ، أن لكانولت مسكونون أكثر كانوا بكيه تحت هذا القاوان ، لانه يؤكد سلطه ناسا ، ويحترم مثليه ويترك لهم الحرية دون أن يفهموا الدفاع عن أعمالهم أمام مبنى اجمهوريه .

وليس هناك أصرح من هذه الأقوال لترك شئون الله لله ، وشئون قيصر لقيصر ، مما الذي هيأته حكومة الجمهورية اتى فصحت الدين عن السياسة لرعاياها المسلمين ، الذين اعترفت لهم بحقوقهم الدينية كاملة ٤ .

قول صاحب كتاب . بحث 'شريع الحراري' صفحته ٦٢٢
لارشير .

إن الأوقاف الإسلامية أي مولاتها الدولة يصرف دخلها
على ناحيتين :

الدين الكاثوليكي ٧٩٠.٠٠٠ و.ر.كا

الدين الإسلامي ٢٣٧.٠٠٠ و.ر.كا

والاعتراض الاسمي هو كيف تنون دولة ينص دستورها على
فصل تام بين شئون الدين والدنيا ، أملاك دين ، لم يكن لها صلة في
يوم من الأيام ، وعلى آية قاعده يجب هذه سياسة ؟

والإعتراض الثاني . هو إذا فرض أن رأيت هذه الدولة أن
تتبرع من أموالها هذه المبالغ ، وهي دولة لادينية فالمعروف أن
أنواع الديانة الكاثوليكية لا يصون إلى عشر أسكاف المسكين ،
والكهنه يتمتعون بما يريد على صنف المبالغ المخصصة للشئون
الدينية لمن هم أكثر من عشرة أصعافهم ، فأى قاعدة إضاف
أحدث بها ؟

وهيون الأمر لو كان هذا نزعاً ، ولكن لأن يؤخذ هذا من أملاك
وأموال وأوقاف المسكين وهي مرصدة ومحبوسة على هذه الناحية

منذ قرون طويلة لأمد ، ولم يتعرض لها أحد من الدول ، حتى تعاقبت
على حكم الجزائر ، وهذه ثلاثة الإعتداءات ، الى لا يبررها منطق
للآن ، ويفسر شاكيف صعقت الحجة الأدبية في الجزائر وفي ذلك
يروى لنا (البرديهيكي A. Devauch) في كتابه المؤسسات
الدبية في العاصمة الجزائرية أن مدنة الجزائر كانت تحوى ١٨٦
مسجداً في سنة ١٨٣٠ ولا يوجد في القصر الجزائري أكلة غير
١٦٦ مسجداً جامعاً كما ذكر ذلك صاحب (بحث النشر مع الجزائري)
ولا شك في أن هذا العدد بسيط إذا دام حكم فرنسا حذراً آخر .
وبين هذه لياسة اتبعه إراء المسلمين وشريعهم ودينهم
يحسن أن نشرح هذه المسكرة ، من مراجع لا نعلم المرئى به
فقد جاء في كتاب خروجها دى (J. Hardy) بطرنا
الإستعمارية ، لذكرى دية في المناطق التي لم تسدها الإسلام قط
أى في أفريقيا السوداء ، تحت أن تحاص الأديان والمذهب الأفريقية
بما يكمن حمايتها وجمها وفي ماصق لم يربح منع تعليم اللغة
انجليزية معاناته ، وعدم تشجيع نشر المكاتب القرآنية ، ومنع نصب
القصة الإسلامية وحيوية نوب تعدد شريعة الإسلام ،
« أما في الجهات التي ثقت وراعى في موعها فلا مانع من تركه »
يعيش ، ولكن فحسب من لاهتمام بأمره ، وإظهار الإعجاب به .

(١) بعد من الدول الإسلامية سنة هذه الية في أرامها .

فهذه أصول السياسة الإسلامية العربية، وهي تحول دون انتشاره في أفريقيا، وبغدير القبائل من أهل الجزائر ومراكش وغير مسلمين، وتحاول أن تحد من أثر الإسلام في المناطق الإسلامية الصليبية.

ولم يطر إلى بدء هذه السياسة، وما تركته في نفس الشيخ محمد يرم التونسي. صاحب كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الذي طبعه سنة ١٣٠٢ هجرية، عن ريارته الجزائر، في رحلته عام ١٢٩٥ هجرية. وقد مضى على ذلك سبعين عاماً تقريباً إذ قال :

أن الدولة العربية هي القائمة بمصاريف إقامة الحرامم وما فيها من قرعة الأحزاب أو كتب الحديث، لأنها استوائت على جمع الأوقاف، واقتصرت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد، تقوم به وغيره، تصرف فيه بما يناسبها، وحرمت المستحقين من مالهم كأوقاف الحرميين.

وذكر كيف ذهب أهنياب العشرية عند وقوع المحنة الكبرى في الجزائر على تنصير عدد من الأولاد الأعراب وغيرهم من المسلمين بنات وأطفالاً، وإن بعضاً منهم لما كبروا وعسوا بأن أهلهم مسلوب حروا إلى أهلهم.

وأشهر إلى بقية من علوم "الف" كانت تدرس في قسنطينة
وتلمسان ، الحجاب الحذريه ، والكن القنوق كان شعلا ، فاص العباء
مقدرة من مع الشيخ على الحفاف المكنى المالكى بقاعدة الحرائر
وهو من تلامذه علامه اعطى الامريق "الشيخ" براهيم الرياضى ، وله
مصان كامة ، وتقوى ، وسكينة ، واضلاع في الفقه والحديث . ولما
أسس بمؤ عا اسكات فاحمه في امر اذ حره إلى بلاد الاسلام فأجبره
أن مثله بدر الم حو ، وبن ففاده عنه لتعلم الناس دينهم أجمع له .
وأكثر ثوابا عند الله من حروجه نفسه ، وترك تلك الأمة المسلمة
حاية من مثله . ان . مما كانت هجرته سدا في حروح غيره فتحرم
عامة المسلمين من يقبهم بعدم الاسلام ، وعقائد الفقه . وقد ورد
في كتب الشرع أنه إذا عدر سلى إلى الأمر فده لأسارى من يذى
العدو فليؤخر بينهم العلماء .

• • •

فهذه حادثة الحرائر من ناحية من أهم النواحي التي تهتم ، ناحية
لعقيدة الإسلامية ، وفيها عبرة وتذكرة لمن يريد أن يفهم حقائق
الإسلام في قطر من أعز الأقطار الإسلامية . وأمر به ، ساء ، وأبعدها
آثرا في تاريخ أميرية العربية ، التي لن تموت ، وفيها دعائم
الإسلام القائمة .

وإننا لنعدّها معجزة إن بقيت هذه الدعائم في أقدّة ملايين من الناس بعد سنوات الضغط السياسي ، والمخاربه التعسفية ، التي أشرنا إليها ، ولكن الذي يخشاه هو أثر سياسة الافقار ، التي فرصتها فرنسا على رعاياها المسنّين . فهدد أعداء عوراً من أي أساليب الإرهاب التي رآها العالم ، وهي التي ورد وصفها في بحكم الآيات الواردة بالقرآن . بقوله تعالى { وليلوكم شيء من الخوف والخوع ونقص من الأموال والأثمن } فقد أصيب المسلمون في نكبتهم بالاستعمار الفرنسي بهذه الفوائد . قلة العداء ، وكثرة المرض ، وسكنى المنازل التي لا تليق بالإنسان . ثم دهمهم في السنوات الأخيرة نكبات القحط المتتالية ، وتفشّت فيهم الأمراض العاتلة .

هناك تعمل قلة العداء ، أو عدم تنظيمه ما فعله في كافة بلدان الدنيا . التي أصيبت بحكم لأوروبيين ، حتى أصبح الكلام هنا إعادة لما سبق ذكره ، وتأثير هذا كبير في تكاثر السكان وتساؤلهم ، وفي إخراج جيل من الأجناس البشرية ضعيف لا يقوى على العداء أو الصمود أمام نفوذ الأجناس الأوروبية من الباحتين العقلية والبدنية . ويسكن لدينا عدد من السكان في أكواح من صفائح العار الفارعة ولكن في الجزائر يعيش أكثر من نصف مليون مسلم ، في أحياء برمتها ؛ أوقى مدن قامت على هذا النوع من المساكن ، ولهذا لا نعجب

أن نسمع أن أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ حرا ترى مضطربون بالناس ، وهو يعادل عدد المصابين به في فرنسا ، وعدد سكانها يقرب من أربعين مليوناً ، ولما كانت لوقايه الصحية غير متوفرة لدى الأهالي وليس لديهم أية خدمات لحمايتهم ، فقد اشترت الأمراض الرهبة انتشاراً اجتاحت قرى برمتها .

إن أعظم صوره تقدمها فرنسا بعد حكم داء أكثر من قرن من الزمن هو مواءمك للنساء والرجال والأطفال ، الذين لا يجدون من الكساء إلا مائة غم سيرون نحوها بالاضعاف ومن بها يلتفتونها لسد رمقهم . بعد أن حرمتهم حكومة الاستعمار من رعايتهم ، وقادتهم ، ومدارسهم ، وأوقافهم ، وفرضت عليهم لذة ومسكرة ، وحرمتهم من كل مبادئ شخصيه البس والنعمة والتوجيه . قد بقي لهم شيء واحد هو الإسلام ، الإيمان بالله .

(قرر أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) .
قد يرى البعض أن الامة التي كانت ترحل البحر الابيض المتوسط قبل احتلال فرنسا قد رقدت رفدتها انبثاقية واصبحت في دمه التاريخ بعد أن اذلت رسالتها ولكنه محض في حظه . فالامة الجزائرية ستعظم هذه الاعلان ، وستخرج من هذه لصنات بقوة تهر فرنسا والكتولون الفرنسي ، لأن التيار انما توجه لا يزال يريقها

و أشاعها بخصه تحت الرماد، انه إذا تحركت وثارت سبهر هذا الركن
هرة عقيمة، لا تقدر على الوقوف وراءها قوات الظلم وانتعسف.

« اما لا تنتظر لرحمة من أشد اساس عداوة ساء .
« كما لا رضى بالعطف يعبر بانه أحب الناس لينا . .
« دعوى أصدر حكم بالحق . والحق اقول . .
« أى أخوانى فى الحروب والامامع والمعارك . .
« انى احكم من اعمق القلب .
« انى اعاهدكم كواحد وكم . .

« انى كما كنت فى ايامى ساء فى ايوام وعدا واحداً منكم . .
هذا الشيد الذى كنهه العاصوف لا يابى اختتم هذه الحكمة
وهو ينم عن شعورى تماماً : و اعتقد أن المسلمين فى كماحهم سواء
فى شمال إفريقيا أو فى أنحاء الهندوسا، أو فى مصاصعات الهند، أن
بما لهم حصومهم بالرحمة سبصر من علينا القتال وهو عراث حتى الموت .
فأما انصر أو الا اادد ولا وسط بينهما .

إن احياءه هى التمدول، ونحن ندعو إلى انزعاصصر فى السلم
والحرب ولا يكون هذا إلا سقل اخماعات الإسلامية إلى حياة
القرن الذى نعيش فيه وبحاشى الوقوع فى الأحصاء التى وقعنا فيها قبل اليوم

مراجع الكتاب

كتب عربية

١ - بلاد فارس في أوج روعة شتاء والصيف .
بلاد الجزائر المظفرة موسى طرابلس العرب
المطبعة المتمايه . بيروت
تأليف عبد المجيد كامل المصطفى الخيش أمصري ساهم

٢ - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأحبار الجزائر
المطبعة الحربية الاسكندرية ١٩٠٣

٣ - صغوه لا غبار تستودع لأمصا والأقطار

١٣٠٢ هجرية

تأليف محمد يرم التونسي

کتاب فرنیة

- 1 - Histoire de l'Armée Française General Weygaud
- 2 - » Militaire de Mohamed Farid
Aly et ses Fils
- 3 - Campagnes Modernes » General Decous
- 4 - Nos Grands, Problèmes » Georges Hardy
Colomaux
- 5 - Realtes Colonies Mercaire de
France
- 6 - Pour l'Empire Colonial Français » Gabriel Hanotaux
- 7 - La Révolte Arabe » Eugène J. Ing
- 8 - L'Avenir Économique de nos » »
Colonies
- 9 - Voix de l'Orient Jacques d'Aumale
- 10 - L'Islam et la Politique des Arabes » Enrico Insabato
- 11 - Les Siècles Obscurs du Maghreb » E. F. Gautier
- 12 - Précis de Géographie Économique » J. F. Horraulin
- 13 - L'Emir Abd El Kader » Colonel Paun Azan
- 14 - Allah est Grand » Mohammed Essad Bey
- 15 - Le Socialisme Constructif » Henri de Man

16— L'Allemagne en Afrique et La Certe

Par

le Baron Hulot Librairie Felix Alcan 1918

17— La Politique Orientale de la Russie 1918

18 -Discours et Messages Gen 12 de Gaulle

19— Le Livre Jaune Français

Ministère des Affaires Étrangères

20— Les Intrigues Anglaises Contre L'Islam

Mohammed Farid Bey

Librairie Nouvelle de Lausanne 1917

مؤلفات فرنسية من مجموعتنا

Les Douleurs des Arabes Opprimés

33 En Algérie

Les Corruptions de l'Administration et des Mœurs Indigènes

Par un Musulman Algérien

34 La Tunisie et l'Algérie

Par Cheikh Ismaïl Sakhri Ancien Cadi de Tunis

et

Cheikh Sahel Cheikh Ancien Professeur à l'Université

Zetouna de Tunis

5 L'Islam dans l'Armée Française

Lieutenant Indigène Boukabouya Hadj Aoual

des Travaux Algériens

Librairie Nouvelle de Bouzanne 1917

کتاب المأثر

21—History of the Great War

Military Operations :

- | | | |
|----|--------------------------|---------------|
| 22 | War Speeches | Winsen Church |
| 23 | The Rising of the Great | Leahy Soudier |
| 24 | The New War | " " |
| 25 | The Rev. of Agnes | " " |
| 26 | The Men of the Great War | " " |
| 27 | One World | Wendell Will |

28 A study in the new world

the new world's new world

29 Germany's Annexation of Alsace

مؤلفات طبعها وشرتها

The Christian Literature Society of India

30—The Ottoman Turks

The Rev. Canon sell

31—The Muslims of Egypt

"

32—Muslims in China

"

تنبیه

وقعت بعض أخطاء مطبعية وريدات في النص

يمكن للمعاريء انكسرهم تداركها وقت فرادته .


رقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
١	يسألونك	الاستاذ عباس محمود العقاد	٢٥٠
٢	أثر الشرق في العرب	دكتور فؤاد حساين	١٥٠
٣	معه الكهنة .. لاسكى	الاستاذ محمد عاطف الرقوى	٢٥٠
٤	مشكلاتنا الاجتماعية	• محمد عطيه الابراشى	٢٠٠
٥	الحشنة	• حسن محمد جوهر	٢٠٠
٦	العزل عند العرب	• حسان أبو رحاب	٢٥٠
٧	عائشة أم المؤمنين	الآنسة راهيه مصطفى قدورة	٢٥٠
٨	فلسفة العمران	الاستاذ عباس محمود العقاد	٣٠٠
٩	أحاديث الصباح	• الشيخ محمود شلتوت	١٥٠
١٠	أبطال الشرق	• محمد محمد المدنى	١٥٠
١١	أبو الغنابة	الاستاذ محمد عطيه الابراشى	١٥٠
١٢	الراهبة المتوحشة	• محمد احمد رائق	١٥٠
١٣	المسح الذهبي	دكتور عباس ابراهيم حسن	١٠٠
١٤	المنهج الذهبي	الاستاذ وهب اسماعيل حفي	١٠٠
١٥	صرخة في وادى	• ابراهيم عبد الله	٢٠٠
١٦	الصحة والصحة	• محمود عليم	٣٠٠
١٧	الوراء العبدية	المرحوم الاستاذ عبد الله حسين	٣٠٠
١٨	العبودية	الاستاذ محمد أحمد راي	
١٩	ولاده	الدكتور على عبد الواحد واهى	
	من كل بيع قطرة	الاستاذ عى عبد العظيم	
		• حسن جوهر	

فهرس الاستعمار

محملة	انوصــــــــــــــــوع
ح	مقدمة سعادة توحيد السلحدار بك
٤	مقدمه المؤلف
٧	بحث في الاستعمار الأوروبي وسيطرته على العالم
٣٠	فرنسا ومستعمراتها
٤٦	صدقة وعداء وسط السمكات والهرائم
٥٧	في طريق الاتحاد لخيرى
٦٤	فكره الاتحاد تواجده المصاعب
٧٢	ما بين الاتحادين الفرنسي واسوفيتى من تشابه
٨٧	فرنسا في مراکش
٩٤	الاعتداء على الجزائر
١١١	الأمر بعد القادر احداثى
١٢٠	كفاح الجزائر أمام جحافل فرنسا
١٣٢	الاستعمار الفرنسي في الجزائر العربية
١٤٣	الاستعمار يواجه الإسلام في الجزائر
١٥٥	مراجع الكتاب





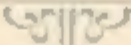


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '97
H. H. PRINCE SAHRUDDIN AGA KHAN
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS



Princeton University Library



32101 074496066